١

الفصل الأول

التعريف بابن رشد وأحوال الأندلس فى عصره
(٤٥٠-٥٢٠هـ / ١٠٥٨-١١٢٦م)

أولاً : التعريف بالقاضى ابن رشد الجد.

- مولده ونشأته.
- شيوخه وتلاميذه.
- ألقابه وصفاته.
- مكانته العلمية ومؤلفاته.
- الوظائف والمناصب التى تولاها.
- تركه لمنصب قاضى الجماعة.
- سفارة ابن رشد إلى المغرب وفتوى تغريب النصارى.
- وفاة ابن رشد الجد.
- التعريف بكتاب فتاوى ابن رشد، وجامع الفتاوى.
- مشكلة الخلط بين ابن رشد الجد وابن رشد الحفيد.

ثانياً : سمات العصر الذى عاش فيه ابن رشد.

- الجانب الاقتصادى والثقافى خلال عصر ابن رشد.

obeikandl.com

الفصل الأول

التعريف بابن رشد وأحوال الأندلس فى عصره
(٤٥٠-٥٢٠هـ / ١٠٥٨-١١٢٦م)

أولاً : التعريف بالقاضى ابن رشد الجد:

أبى الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبى المالكى، قاضى الجماعة بقرطبة وصاحب الصلاة بجامعها، ويطلق عليه الجد للتميز بينه وبين حفيده ابن رشد الفيلسوف (محمد بن أحمد) [١]، فهو الإمام العالم المحقق المعترف له بصحة النظر وجودة التأليف زعيم الفقهاء بأقطار الأندلس والمغرب ومقدمهم المعترف له بصحة النظر وإليه المرجع فى حل المشكلات متفنناً فى العلوم بصيراً بالأصول والفروع فاضلاً ديناً إليه الرحلة، عارفاً بالفتوى على مذهب مالك وأصحابه، بصيراً بأقوالهم واتفاقهم واختلافهم نافذاً فى علم الفرائض والأصول[٢]، ويذكر ابن بشكوال أن تلميذه الفقيه أبا مروان عبدالملك بن مسرة ذكر عنه أنه كان يصوم يوم الجمعة دائماً فى الحضر والسفر، لقد وصل ابن رشد لمكانة مرموقة متميزة بين أهل الأندلس، فهو يمثل مرحلة مهمة فى تطور المذهب المالكى فى الغرب الإسلامى وتعميق أسسه النظرية والتطبيقية[٣].

مولده ونشأته:

وُلِدَ محمد بن رشد فى شوال من سنة ٤٥٠هـ /١٠٨٥م بقرطبة، فى بيت علم مشهور بالصلاح والجلالة والقدر، يذكر ابن فرحون عن والد ابن رشد "أحمد بن محمد" أنه: " كان من أهل العلم والجلالة والعدالة"[٤]، وكانت أسرته تسكن سرقسطة[٥] ثم انتقلوا إلى قرطبة، ويظهر

---

١) عن هذا الخلط والتعرف بابن رشد الحفيد، راجع نفس الفصل ص ٤٨.

٢) عياض: الغنية فهرست شيوخ القاضى عياض، تحقيق: ماهر زهير جراب، دار الغرب الإسلامى، بيروت، ط١، ١٩٨٢م، ص٥٤؛ الضبى: بغية الملتمس فى تاريخ رجال أهل الأندلس، الهيئة العامة للكتاب، ٢٠٠٨م، ص٥١؛ الذهبى: العبر فى خبر من غبر، تحقيق: محمد السعيد، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، ج٢، ص ٤١٤؛ اليافعى: مرآة الجنان وعبرة اليقظان تحقيق: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٧م، ج٣، ص١٧١؛ النباهى: تاريخ قضاة الأندلس، ص ٩٨ – ٩٩؛ ابن فرحون: الديباج المذهب، ج٢، ص٢٤٩؛ ابن قنفذ: الوفيات، تحقيق: عادل نويهض، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط٤، ١٩٨٣م، ص٢٧٠؛ ابن العماد: شذرات الذهب فى أخبار من ذهب، تحقيق: محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، ١٩٨٦م، مج٦، ص١٠٢؛ البغدادى :هدية العارفين دار إحياء التراث العربى، بيروت، ١٩٥١م ,ج ٢، ص٨٥؛ عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين، ج٣، ص ٤٦؛ محمد بن محمد بن خلوف: شجرة النور الزكية، ج١، ص ١٢٩.

٣) ابن بشكوال: الصلة، ق٢، ص ٥٧٦؛ محمد المغراوى: مسائل العملة والصرف والأسعار فى العصر المرابطى، ص ٦٠.

٤) أحمد بن محمد بن رشد: والد ابن رشد الجد أشار ابن فرحون أنه كان حياً سنة ٤٨٢هـ، لكنه لم يذكر له تاريخ وفاة. (ابن فرحون: الديباج، ج١، ص١٩٨).

٥) سرقسطة: بفتح أوله وثانيه ثم قاف مضمومة وسين مهملة ساكنة وطاء مهملة، بلدة مشهورة بالأندلس تتصل أعمالها بأعمال تطيلة ذات فواكه عذبة لها فضل على سائر فواكه الأندلس، مبنية على نهر كبير، وهو نهر منبعث من جبال القلاع . (ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج٣، ص ٢١٢؛ الحميرى: صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار، تحقيق: ليفى بروفنسال، دار الجيل، بيروت، ط٢، ١٩٨٨م، ص٩٦ –٩٧؛ ابن غالب: قطعة من كتاب فرحة الأنفس، ص٢٨٧–٢٨٨).

أن ابن رشد أصله غير عربى، حيث أن تلاميذه الذين ترجموا له سردوا سلسلة نسبه دون أن ينسبوه إلى أى قبيلة عربية، بل قيل إنه لا يعرف له نسب فى قبائل الأندلس، كما أن هناك من ينسبه لبنى إسرائيل، وذلك بعد أن تم نفى حفيده ابن رشد الفيلسوف إلى مدينة إليسانة[١]– مدينة اليهود– على إثر محنته[٢].

نشأ ابن رشد وتلقى تعليمه فى ظل دولتين من دول ملوك الطوائف حيث أنه وُلد وتلقى السنوات الأولى من تعليمه فى نهاية حكم دولة بنى جهور[٣]، واستكمل دراسته وقضى الفترة الأولى من شبابه فى ظل دولة بنى عباد، حيث أنه كان يبلغ من العمر اثنى عشر عاماً لما استولى المعتمد بن عباد على مدينة قرطبة فى سنة ٤٦٢هـ (أول يونية ١٠٧٠م)[٤] لذا لم يكن له دورٌ سياسي واضح فى تلك الفترة على عكس دوره فى عصر المرابطين.

---

١) مدينة إليسانة ( ): وهى مدينة اليهود ولها ربض يسكنه المسلمون وبعض اليهود وبه المسجد الجامع وليس على الربض سور والمدينة مدينة متحصنة بسور حصين، واليهود يسكنون بجوف المدينة ولا يداخلهم فيها مسلم البتة وأهلها أغنياء مياسير أكثر غنى من اليهود الذين ببلاد المسلمين، ومن اليسانة إلى مدينة قرطبة أربعون ميلاً. (الإدريسى: نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق، ج٢، ص٥٧١–٥٧٢).

٢) حيث سخط عليه الخليفة المنصور وجرده من منصبه ونفاه إلى قرية إليسانة وأمر بإحراق معظم كتبه، وأصدر منشوراً إلى كافة أنحاء المملكة يحذر فيه الناس من الفلسفة، وقد اختلف المؤرخون فى أسباب تلك النكبة، فرجح البعض ومنهم ابن أبى أصيبعة أن سببها الحسد والغيرة وأنها مكيدة حاكها المقربون من البلاط، بينما ذهب آخرون أن السبب هو " استخفاف ابن رشد بالأمير "فكان يخاطبه بقوله " أتسمع يا أخى "، كما أنه كتب فى كتاب الحيوان عبارة " ورأيت الزرافة عند ملك البربر"، فغضب الأمير بسبب هذا وكاد أن يقتله لولا شفاعة أهل إشبيلية، وهناك رأى آخر يقول أن النكبة تعود لأسباب تتصل بالعقيدة، وهذا الرأى بعيد عن الواقع وذلك بسبب أن المنصور كان على علم بمؤلفات ابن رشد وكان يشاركه حب الفلسفة، وعلى أية حال فإن المنصور حرم دراسة الفلسفة، وأخذ يضطهد المشتغلين بها، غير أن هذه المحنة لم تستمر طويلاً فقد عفا عنه المنصور بعد أقل من ثلاث سنوات، ودعاه ثانية إلى مراكش، ولم يشمل العفو ابن رشد فقط وإنما شمل كل الفلاسفة وذلك فى سنة ٥٩٥هـ / ١١٩٨م، وربما كان هذا العفو بسبب حاجة الأمير إلى ابن رشد فقد عاد إليه حبه وشغفه بالفلسفة. (ابن أبى أصيبعة: طبقات الأطباء، مج٣، ص٣١٩–٣٢٣؛ محمد لطفى جمعة: تاريخ فلاسفة الإسلام، ص١١٤؛ آنخل جنثالث بالنثيا: تاريخ الفكر الأندلسى، ص٤٠٢).

٣) للمزيد عن دولة بنى جهور راجع: (ابن عذارى: البيان المغرب، ج٣، ص٢٣٢؛ المقرى: نفح الطيب، ج١، ٤٣٩؛ ابن بسام: الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة، ق١، ص٦٠٢–٦٠٦؛ ابن سعيد: المغرب فى حلى المغرب، ج١، ص٥٦–٥٧؛ ابن خاقان: مطمح الأنفس ومسرح التأنس فى ملح أهل الأندلس، تحقيق: حسن يوسف خريوش، مكتبة المنارة، ط١، ١٩٨٩م، ص ١٨٠– ١٨٦؛ دوزى: ملوك الطوائف ونظرات فى تاريخ الإسلام، ترجمة: كامل كيلانى، ط١، ١٩٣٣م ,ص٢٢٢؛ فلنتينا سليمان: مملكة إشبيلية زمن بنى عباد وعلاقاتهم الداخلية والخارجية (٤١٤–٤٨٤هـ / ١٠٢٣–١٠٦٩م)، رسالة ماجستير، جامعة النجاح، فلسطين، ٢٠٠٢م، ص٧٣–٧٤).

٤) للمزيد عن دوله بنى عباد واستيلائهم على قرطبة راجع: (ابن حيان: المقتبس من أنباء أهل الأندلس، تحقيق: محمود مكى، لجنة إحياء التراث الإسلامى، القاهرة، ٢٠١٣م، ص٦٥؛ ابن عذارى: البيان المغرب: ج٣، ص٢٥١؛ المقرى: نفح الطيب، ج١، ص٦٢٦؛ ابن خاقان: قلائد العقيان، مج١، ص٦٧–٦٩).

شيوخـــه وتلاميـــذه :

تتلمذ ابن رشد فى البداية على يد والده ثم درس على يـد كبـار شـيوخ قرطبـة[١]، فالمصادر تثبت أنه لم يرحل لطلب العلم كما كان يفعل طلبة العلم فى ذلك الوقت[٢]، ربما ذلـك بسبب أن قرطبة كانت من أهم المدن العلمية آنذاك فلم يكن له حاجة فى أن يرحل لطلب العلـم من مكان آخر، فقد سمع أبا مروان بن سراج[٣]، وأجاز له أبو العباس العذرى[٤]، كما روى عن أبى على الغسانى الجيانى[٥]، وأحمد بن رزق[٦]، ومحمد بن خيرة[٧]، ومحمـد بـن فـرج[٨]، وغيرهم من علماء وأئمة الأندلس الذين ذاع صيتهم فى هذا الوقت.

---

١) ابن بشكوال: الصلة، ق٢، ص٥٧٦؛ النباهى: تاريخ قضاة قرطبة، ص٩٨؛ السملالى: الإعلام بمن حـل بمـراكش وأغمات من الأعلام، راجعه: عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، ط٤، ١٩٩٨م، ص٥٢-٥٧.

٢) ابن بشكوال: الصلة، ق٢، ص٥٧٦؛ النباهى: تاريخ قضاة قرطبة، ص٩٨؛ ابن عياض: الغنية، ص٥٥؛ الذهبى: سير أعلام النبلاء، ج١٩، ص٥٠١-٥٠٢؛ ابن فرحون: الديباج، ج٢، ٢٤٩.

٣) أبا مروان بن سراج: عبد الملك بن سراج الأموى مولاهم القرطبى ,كان إمام أهل الأندلس فى وقته وسمع من أبيـه وجماعـة من فقهاء الاندلس وكانت الرحلة إليه من جميع أقطار الأندلس وغيرها، وكان إمام عصره فى علم لسـان العـرب، وضـبط لغاتها، أخذ منه ابن رشد وإنتفع به، وقد توفى سنة ٤٨٩هـ. (ابن بشكوال: الصلة، ق٢، ص٣٦٣؛ ابن سعيد: المغـرب فـى حلى المغرب، ج١، ص١١٥؛ ابن بسام: الذخيرة، ق١، ص ٨٠٨ -٨١٣؛ ابن خاقان: قلائد العقيان، مج٢، ص٦٠٥).

٤) أبو العباس العذرى: هو أحمد بن عمر بن أنس بن دلهاث العذرى المرى الأندلسى، هو الفقيـه المحـدث الروايـة، المعروف بابن الدلائى، سمع من أبى ذر الهروى، وأخذ عنه الكثير، توفى سـنة ٤٧٨هـ. (الحميـدى: جـذوة المقتبس، ص١٣٦-١٣٧؛ ابن بشكوال: الصلة، ق١، ص٦٦-٦٧؛ إسماعيل البغدادى: إيضاح المكنون فـى الـذيل على كشف الظنون، دار إحياء التراث العربى، بيروت، طبعة إستابنول ١٩٤٧م، مج١، ص١٠٤؛ محمد بن محمـد بن مخلوف: شجرة النور الزكية، ج١، ص١٢١).

٥) أبى على الغسانى: هو الحسين بن محمد بن أحمد الغسانى القرطبى الجيانى كان إمام عصره فى علم الحديث، وبـرع فى إتقانه وضبطه حتى لم يكن فى عصره أضبط منه، وقد توفى سنة ٤٩٨ه، وكانت ولادته سنة ٤٢٧هـ. (الضبى: الملتمس، ص٢٦٥-٢٦٦؛ ابن بشكوال: الصلة، ق١، ص١٤٢-١٤٣؛ المقرى: أزهار الريـاض، ج٣، ص١٤٩-١٥١؛ الزركلى: الأعلام، ج٢، ص٢٥٥).

٦) أحمد بن رزق: هو أبو جعفر أحمد بن محمد بن رزق القرطبى الأموى كان حافظاً ذاكراً، من جلة علمـاء قرطبـة، ومن أهل الفقه والمسائل تفقه بأبى عمر بن القطان، تولى الشورى بقرطبة، توفى سنة ٤٧٧هـ وكانت ولادته سـنة ٤٢٧هـ. (الضبى: بغية الملمتس، ص١٦٧؛ ابن فرحون: الديباج، ج١، ص١٨٢؛ محمد بن محمد بـن مخلـوف: شجرة النور الزكية، ج١، ص١٢١).

٧) محمد بن خيرة: يكنى أبو عبد الله وهو المعروف بابن أبى العافية، أصله من المرية، وسكن قرطبة، روى عن أبـى القاسم حاتم بن محمد وغيره، وكان من جلة العلماء وكبار الفقهاء واشتهر بالحفظ والعلم والذكاء والفه، وقـد تـوفى سنة ٤٧٨هـ . (ابن بشكوال: الصلة، ق٢، ص٥٥٤؛ الذهبى: تاريخ الإسلام، ج٣٢، ص٢٤٥).

٨) محمد بن فرج: هو أبو عبدالله بن محمد المعروف بالطلاعى، كان شيخ الفقهاء فى عصره، سمع من أبى عمر بـن القطان، وسمع منه عالم عظيم ورحل إليه الناس من قطر، وأخذ عنه من شيوخ قرطبة جمع كبير منهم ابن رشـد، وقد توفى سنة ٤٩٧هـ. (ابن بشكوال: الصلة، ق٢، ص٥٦٤-٥٦٥؛ الضبى: بغية الملتمس، ص١٣-١٢٤؛ ابـن سعيد: المغرب فى حلى المغرب، ج١، ص١٦٥؛ الصفدى: الوافى بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط، دار إحيـاء التراث العربى، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م، ج٤، ص٢٢٦؛ ابن قنفذ: الوفيات، ص٢٦٤).

أما تلاميذه فقد تتلمذ على يديه عدد كبير من العلماء والفقهاء آنذاك[١]، فمنهم من لقاه وسمع منه ومنهم من روى عنه ولم يلقه، وهم: ابنه أبو القاسم أحمد ابن محمد بن أحمد ابن رشد[٢]، وابن ورد[٣]، بالإضافة إلى ابن الوزان جامع فتاوى ابن رشد [٤]، والقاضى عياض[٥]، وابن مسرة[٦]، وابن الفرس[٧]، وأبو عبد الله محمد بن يوسف بن سعادة[٨]، بالإضافة إلى مؤلف

---

١) ابن فرحون: الديباج، ج٢، ص٢٤٩؛ ابن القاضى: جذوة الإقتباس فى ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، دار المنصور، الرباط، ١٩٧٣م، ق١، ص٢٥٤-٢٥٥؛ السملالى: الإعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام، المطبعة الملكية، الرباط، ط٢، ١٩٩٣م,ج٤، ص٥٢-٥٧.

(٢) أبو القاسم أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد: هو الإمام المتقن أخذ عن والده ابن رشد وبه تفقه، كما أخذ عن جماعة من الشيوخ منهم أبو بكر ابن العربى، وعنه أخذ ابنه أبو الوليد ابن رشد الحفيد، له شرح على سنن النسائى، وقد توفى سنة ٥٦٣هـ. (ابن بشكوال: الصلة، ق١، ص٨٣؛ الذهبى: تاريخ الإسلام، ج٣٩، ص١٥٠).

٣) ابن ورد: هو أبو القاسم أحمد بن محمد بن عمر التميمى المرى، كان من الفقهاء المحدثين، موفور الحظ من الأدب والنحو والتاريخ، متقدماً فى علم الأصول والتفسير، حافظاً متقناً، انتهت إليه الرياسة فى مذهب الإمام مالك، وإلى القاضى أبى بكر بن العربى فى وقتهما، لم يتقدمهما أحد فى ذلك بعد وفاة القاضى أبى الوليد ابن رشد، وقد توفى ابن ورد فى ٥٤٠هـ. (ابن بشكوال: الصلة، ق١، ص٨٢؛ الضبى: بغية الملتمس، ص١٦٧).

٤) ابن الوزان: هو محمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن يحيي بن مسعود، أبو الحسن المعروف بابن الوزان، قرطبى فقيه محدث، صاحب الصلاة بجامع قرطبة، روى عن أبى عبدالله بن فرج بن الطلاع وابن رشد الجد، كان معنياً بتقييد الآثار حسن الخط والوراقة، طويل الصلاة كثير الذكر لله تعالى، وكان ديناً فاضلاً، معتنياً بالعلم والآثار، جامعاً لها حسن النقل لجميعها، وقد توفى بقرطبة فى جمادى الآخرة سنة ٥٤٣هـ /١١٤٨م، ودفن بالربض، وقد ذكر ابن الوزان فى ترجمته قصة طلبه للإجازة من ابن رشد قبل سفره إلى مراكش. (ابن رشد: مسائل ابو الوليد بن رشد (الجد)، مج٢، ص ١٣٤٤- ١٣٤٥؛ ابن بشكوال: الصلة، ق٢، ص٥٩١ ١٦٣؛ الضبى: بغية الملتمس فى تاريخ أهل الأندلس، ص ١٠١؛ ابن الآبار: المعجم، ص ١٦٢).

(٥) القاضى عياض: هو عياض بن موسى بن عياض بن عمرون بن موسى بن عياض اليحصبى السبتى أبو الفضل، القاضى المحدث الحافظ، ولد ٤٧٦هـ، إنتقل أجداده من بسطة إلى مدينة فاس ثم إلى سبتة حيث ولد فيها القاضى عياض، وسمع من مشيختها وتفقه ببعضهم، روى عن الصدفى وابن حمدين وأبى بكر بن العربى ومحمد بن عتاب وغيرهم، وقد توفى فى سنة ٥٤٤هـ بمراكش. (الضبى: بغية الملتمس، ج٢، ص٥٧٢؛ المقرى: أزهار الرياض فى أخبار عياض، ص ٤٢؛ ابن الأبار: المعجم، ص٣٠١).

٦) ابن مسرة: هو أبو مروان عبدالملك بن مسرة بن فرج اليحصبى القرطبى، تفقه بالقاضى أبى الوليد ابن رشد، وكان ممن جمع الله له الحديث والفقه، مع الأدب البارع، والفضل و الدين والورع والتواضع والهدى الصالح، وكان له منهاج السلف المتقدم، توفى سنة ٥٥٢هـ (ابن بشكوال: الصلة، ق٢، ص٣٦٦-٣٦٧؛ الضبى: بغية الملتمس، ص٣٨٢؛ اليافعى: مرآة الجنان، ج٣، ص٢٢٩؛ ابن فرحون: الديباج المذهب، ج٢، ص١٨).

٧) ابن الفرس: هو أبوعبد الله محمد بن عبد الرحيم الأنصارى الغرناطى، أخذ عن ابن رشد وانتفع به، وكان عالماً حافظاً، عالماً بالقراءات والفقه، تولى خطة الشورى بمرسية، ثم قدم إلى قضاء بلنسية، فلم تطل مدة ولايته، وخرج مستعفياً عنها، توفى بإشبيليه سنة ٥٦٧هـ، وحُمل إلى غرناطة فدفن بها. (الصفدى: الوافى بالوفيات، ج٣، ص٢٠٢؛ ابن العماد: شذرات الذهب، مج٦، ص٣٧٠؛ الذهبى: تاريخ الإسلام، ج٣٩، ص٢٩٥).

٨) أبو عبد الله محمد بن يوسف بن سعادة: وهو مرسىّ سكن شاطبة، وسمع أبا على الصدفى وإختص به، وأكثر عنه، وسمع أيضاً أبا محمد بن جعفر، ولازم حضور مجلسه للتفقه به، ورحل إلى غرب الأندلس فسمع أبا محمد بن عتاب وأبا بحر الأسدى وأبا الوليد بن رشد، وتوفى سنة ٥٦٥هـ، ويذكر صاحب مرآة الجنان أنه توفى سنة ٥٦٦هـ . (المقرى: نفح الطيب، ج ٢، ص ١٥٨؛ ابن الآبار: التكملة لكتاب الصلة، تحقيق: عبد السلام الهراس، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥م، ج٢، ص٨٦؛ الضبى: بغية الملتمس، ص١٤٢-١٤٣؛ اليافعى: مرآة الجنان، ج٣، ص ٢٨٥؛ إسماعيل البغدادى: إيضاح المكنون، مج٢، ص٤١؛ عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين، ج٣، ص٧٨٢).

كتاب الصلة عن علماء الأندلس ابن بشكوال[١]، والذى حضر دروس ابن رشد العلمية وحلقات درسه، وقد أشار إلى مؤلفات ابن رشد بقوله: "سمعنا عليه بعضها وأجاز لنا سائرها" [٢]، ويقول عنه ابن خير الأموى الإشبيلى: "وممن أخذت عنه ولم ألقه أيضاً الشيخ الفقيه القاضى الإمام العلامة أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد"[٣].

هكذا فإن ابن رشد قد ذاع صيته فى أرجاء الأندلس كافة، حتى أصبح قِبلة طلبة العلم والعامة، حتى الفقهاء والعلماء الذين ذاع صيتهم لجأوا إليه لينهلوا من بحر علمه الواسع، وكل هؤلاء الفقهاء الذين تم ذكرهم كانوا على سبيل المثال لا الحصر، حيث أن ابن رشد أخذ عنه خلق كثير وأخرج شيوخاً وعلماء كبار، فقد إنتهت إليه الرئاسة فى الفقه فى عصره.

ألقابه وصفاته:

بسبب مكانة ابن رشد العلمية فإنه تلقب بعدة ألقاب توضح ما تولاه من مناصب وما وصل إليه من مركز مرموق بين الفقهاء، ليس فقهاء الأندلس فقط وإنما فقهاء المسلمين عامةً، حيث تلقب بـ : الفقيه المشاور، والإمام وشيخ المالكية، قاضى الجماعة بقرطبة وإمام الصلاة بجامعها، وحافظ المذهب وزعيم الفقهاء[٤]، فقد جمع بين العديد من المناصب مثل القضاء والمشورة والفتوى، فقد كان بحق عالم جليل.

أما عن صفاته، فيقول ابن فرحون[٥]: " كان حسن العلم والرواية كثير الدين، كثير الحياء، قليل الكلام، مشمتاً نزهاً مقدماً عند أمير المسلمين، عظيم المنزلة، معتمداً فى العظائم أيام حياته"، كما كان من أهل الرئاسة فى العلم والبراعة والفهم مع الدين والفضل والوقار، والحلم والسمت الحسن والهدى الصالح كما يوصف بأنه حسن الخلق سهل اللقاء، كثير النفع لخاصته وأصحابه، جميل العشرة لهم، حافظاً لعهدهم[٦]، ويُذكر أنه كان أنبه فقهاء المالكية ذِكراً فى عصره [٧].

---

١) ابن بشكوال: هو أبو القاسم خلف بن عبدالملك الخزرجى الأندلسى، مؤرخ من أهل قرطبة تولى القضاء فى بعض جهات إشبيلية، له مصنفات كثيرة، منها: الصلة وهو أشهر مؤلفاته، والغوامض والمبهمات، ورواة الموطأ، توفى سنة ٥٧٨. (ابن الآبار: المعجم، ص٩١؛ أبو الفدا: المختصر فى أخبار البشر، المطبعة الحسينية، القاهرة، ط١، ١٩٠٧م –١٣٢٥هـ، ج٣، ص٦٦؛ ابن فرحون: الديباج المذهب، ج١، ص٣٥٣).

٢) ابن بشكوال: الصلة، ق٢، ص٥٧٧.

٣) ابن خير: فهرست ابن خير الإشبيلى، تحقيق: إبراهيم الإبيارى، القاهرة، ١٩٨٩م، ج٢، ص ٥٩٦.

٤) ابن رشد: فتاوى ابن رشد الجد، تحقيق: المختار بن الطاهر التليلى، دار الغرب الإسلامى، بيروت، ط١، ١٩٨٧م، ص٨؛ الذهبى: سير أعلام النبلاء، ج١٩، ص٥٠١.

٥) الديباج المذهب، ج٢، ٢٤٩ .

٦) ابن بشكوال: الصلة، ق٢، ص٥٧٦؛ السملالى: الإعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام، ج٤، ص٥٣.

٧) بالنثيا: تاريخ الفكر الأندلسى، ص٤٧٩.

مكانتــه العلميــة ومؤلفاتــه :

تألق ابن رشد فى مجال الفقه وعلت منزلته بين فقهاء عصره لما كان عليه مــن ســعة العلم والمعرفة، حتى وصفه الضبى[١] بقوله: "كان أوحد زمانه فى طريقة الفقــه"، وقــال عنــه القاضى عياض[٢]: "كان حسن الدين، كثير الحياء قليل الكلام، متسمتاً نزهاً، مقدماً عنــد أميــر المسلمين، عظيم المنزلة، معتمداً فى العظائم أيام حياته"، وقال أيضاً "وكان إليــه المفــزع فــى المشكلات"، وقال عنه النباهى:" وتقلد القضاء بقرطبة، وسار فيه بأحسن سيرة، وأقوم طريقة، ثم استعفى عنه، فأعفى"[٣]، ويقول عنه تلميذه ابن الوزان فى خاتمة كتاب الفتاوى: " وبحق فقد كان طود علم، وإنسان فضل وحلم، وكوكب ذكاء وفهم، وواحد جلالة وديانة، وفذ رجاحة وأمانة ".

فقد تبحر ابن رشد فى علم الفقه لدرجة أنه إذا صعبت مسألة من مسائل الفقــه علــى الفقهاء[٤] فى عصره فإنهم يلجأون إليه ليستفتوه فيها وليكشف غموضها[٥]، وبكونه رئيس الإفتاء وزعيم الفقهاء بقرطبة فقد كان يمثل مرحلة شديدة الأهمية فى تاريخ تطور المذهب المالكى فى الغرب الإسلامى[٦]، كما كان واحد ممن أكدوا على تلازم المذهب المالكى والعقيدة الأشعرية[٧]، وكان دائماً ما يدافع عن العقيدة الأشعرية وعن أئمتها وشيوخها وهذا يظهر بوضوح من خــلال فتاويه[٨] .

أما عن مؤلفاته، فقد صنف عدداً من الكتب والمصنفات الفقهية والتــى أضــافت إلــى المذهب المالكى الكثير، وهى[٩]:

- البيان والتحصيل لما فى المستخرجة من التوجيه والتعليل، فى أزيد من عشرين مجلداً .
- المقدمات لأوائل كتب المدونة .

---

(١) الضبى: بغية الملتمس ,ج١، ص٧٤.

٢) عياض: الغنية، ص٥٤.

٣) تاريخ قضاة الأندلس، ص٩٩.

٤) وهذا يتضح من خلال الفتاوى حيث تمثل نسبة الأسئلة التى أرسل بها فقهاء أو قضاة حوالى ٢٨% من إجمالى عــدد الفتاوى، وتمثل نسب الأسئلة التى وردت من طلبة العلم حوالى ١٢% من إجمالى الفتاوى. (راجع الملاحق).

٥) سعد عبدالله البشرى: الحياة العلمية فى عصر ملوك الطوائف، ص ٢٨٠ –٢٨١.

٦) أنور محمود زناتى: كتب النوازل مصدراً للدراسات التاريخية والقانونية فى المغرب والأندلس، ص٨ –٩.

٧) العقيدة الأشعرية: نسبة إلى أبى الحسن الأشعرى، وهى مدرسة إسلامية سنية، اتبع منهاجها فى العقيدة عدد كبير مــن فقهاء اهل السنة والحديث؛ منهم: البيهقى والنووى والغزالى، وكان يرى الأشعرى أن كــل مجتهــد علــى حــق. (الــذهبى: تــاريخ الإســلام، ج٢٤,ص١٥٤–١٥٨؛ ابــن العمــاد: شــذرات الــذهب، مــج٤، ص١٢٩–١٣٣ *History of Islamic*

٨) ابن رشد: الفتاوى، ج٢، م١٨٩، ص٨٠٢؛ م٢٦٥، ص٩٤٣؛ ج٣، م٣١٦، ص١٠٦٠.

٩) ابن قنفذ: كتاب الوفيات، ص ٢٧٠؛ الزركلى: الأعلام، ص٣١٧؛ مخلوف: شجرة النور الزكية فى طبقات المالكيــة، ج١، ص ١٢٩؛ البغدادى: هدية العارفين، ص ٨٥.

obeikandl.com

- مختصر المبسوطة، من تأليف يحيى بن اسحاق بن يحيى بن يحيى .
- مختصر مشكل الآثار للطحاوى .
- تلخيص كتاب الحسن والقبح للحكيمى.
- المقدمات الممهدات لبيان ما اقتضته رسوم المدونة من الأحكام الشرعية.
- التحصيلات المحكمات لأمهات مسائل المشكلات وغير ذلك.
- مجموعة من فتاويه، فى معهد المخطوطات (وهى المجمعة فى كتاب فتاوى ابن رشد الذى بين أيدينا).

ومن الجدير بالذكر أن العلماء قد أثنوا على مؤلفات ابن رشد، حتى قيل أنه لم يسبقه إلى تأليف مثلها أحد، وأن كتابى البيان والتحصيل والمقدمات ليس فى المذهب المالكى مثيل لهما ولا لمالك مثلهم(١).

الوظائف والمناصب التى تولاها :

أولاً: التدريس:

يُعد التدريس من أول الوظائف التى يعمل بها الفقيه بعد أن يحصل على الإجازة من شيوخه، لكن المصادر لم تمدنا بمعلومات عن بداية ابن رشد للتدريس، وعلى الرغم من ذلك فإننا يمكننا أن نستنتج ذلك من خلال فتاويه، حيث تشير إحدى النوازل إلى أن قاضى سبته أبو عبد الله بن عيسى قد سأله عن الزيادة فى جامع سبتة أيام توليه القضاء هناك(٢)، وهذا القاضى كان قد تولى قضاء سبتة ما بين عامى ٤٩٠-٤٩٦هـ(٣)، وعلى جانب أخر فإن ابن عذارى يشير إلى أن يوسف بن تاشفين قد أمر القاضى محمد بن عيسى ببنيان جامع سبتة وزاد فيه حتى أشرف على البحر، وكان بنيانه عام واحد وتسعين(٤)، أى أن هذا السؤال كان فى عام ٤٩١هـ، مما يشير إلى أن ابن رشد قد بدأ التدريس فى سن مبكرة حيث كان يبلغ من العمر واحد وأربعين عاماً آنذاك.

ثانياً: منصب قاضى الجماعة وصاحب الصلاة بجامع قرطبة:

بالإضافة إلى التدريس فقد تولى منصب قضاء الجماعة بالأندلس فى جمادى الأولى عام ٥١١هـ / ١١١٧م بأمر من أمير المسلمين على بن يوسف بن تاشفين، ويعد هذا المنصب

---

١) ابن القاضى: جذوة الاقتباس، ج١، ص٢٥٥.
٢) ابن رشد: الفتاوى، ج١، م٤٦، ص٢٦٢.
٣) عياض: الغنية، ص٢٨.
٤) ابن عذارى: البيان المغرب، ج٤، ص٥٨ .

obeikandl.com

أعظم ما تولاه ابن رشد فى حياته، لكنه لم يستمر طويلاً حيث أنه استعفى منه بعد أربع سنوات بناءً على رغبته وذلك فى سنة ٥١٥هـ / ١١٢١م، فقد كان يرغب فى التفرغ لاستكمال ما بدأه من مؤلفات، وإلى جانب توليه القضاء فقد كان صاحب الصلاة بجامع قرطبة الأعظم وهذا المنصب من ضمن مهام القاضى(١).

ثالثاً: منصب الإفتاء والمشورة القضائية:

كما كان له الفُتيا(٢) والمشورة القضائية(٣) على مستوى المغرب والأندلس فى عهدى ملوك الطوائف والمرابطين، فكان المرجع الأول لكبار القضاة فى العدوتين كالقاضى عياض وابن منظور الإشبيلى(٤)، أيضاً كان مستشاراً لأمير المسلمين على بن يوسف، بالإضافة إلى مختلف طبقات الشعب، حيث يفزعون إليه فيما يقابلهم من مشاكل، وكتاب الفتاوى هو خير دليل على ذلك(٥).

تركه لمنصب قاضى الجماعة:

ترك ابن رشد منصب قاضى الجماعة وذلك بعد أربع سنوات من توليه إياه، وكان هذا فى سنة ٥١٥هـ حيث طلب من أمير المسلمين على بن يوسف بن تاشفين، أن يعفيه من هذا

---

١) ابن عذارى: البيان المغرب: ج٤، ص٦٤؛ عياض: الغنية، ص٥٤؛ ابن أبى زرع: الأنيس المطرب بروض القرطاس فى أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، الرباط، ١٩٧٢م، ص١٥٤؛ ابن الخطيب: الإحاطة، ج١، ص١١٣-١١٤؛ ابن فرحون: الديباج المذهب، ج٢، ص٢٤٩؛ سعد عبدالله البشرى: الحياة العلمية فى عصر ملوك الطوائف، ص٢٨١؛ محمد بن إبراهيم بن صالح: جهود علماء الأندلس، ص ٨٣- ٨٤.

٢) للمزيد عن شروط من تجوز له الفتيا، راجع رأى ابن رشد من خلال كتابه الفتاوى، ج٣، م٤٢٧، ص١٢٧٥.

٣) المشورة القضائية: إلى جانب خطة القضاء كان هناك ما يعرف بإسم جهاز المشورة القضائية أو خطة الشورى والتى وجدت على عهد الخلافة الأموية ووجدت من جديد على عهد المرابطين ولكن بمستوى أعلى وأوسع، ويترأس هذا الجهاز ما يسمى بصاحب الفُتيا أو شيخ الفُتيا الذى يقوم بترشيح الفقهاء للشورى- ويسموا بالفقهاء المشاورين- فيعينهم الخليفة أوالوالى بدوره بناء على هذا الترشيح، ويتولى صاحب خطة الشورى إبداء الرأى والفتوى فى مسائل الأحكام، وقد عرفت مؤلفاتهم بإسم "نوازل الحكام" وهى الكتب الخاصة بكبار شيوخ الفقه والفتوى المشاورين. (ابن رشد: مسائل ابن رشد (الجد)، تحقيق: محمد الحبيب التجكانى، المجلد الأول، ص ٣٩؛ حسن على حسن: الحضارة الإسلامية، ص ١٦٥؛ مبارك جزاء الحربى: نماذج من جهود فقهاء المالكية,ص٣١٥؛ عبدالقادر ربوح: الأحباس ودورها فى المجتمع الأندلسى، ص ٣٠).

٤) ابن منظور الإشبيلى: أبو القاسم أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن منظور القيسى المالكى الإشبيلى، فقيه، إمام، محدث، من بيت علم وجلالة، روى عن أبيه وعن ابن عمهم أبى عبدالله محمد بن أحمد بن عيسى بن منظور، أخذ عنه ابن بشكوال، توفى سنة ١٢٥هـ، وله أبع وثمانون سنة . (ابن بشكوال: الصلة، ج١ ,ص ٧٨ ؛ الذهبى: سير أعلام النبلاء، ج ١٩، ص٥١٨).

٥) ابن رشد: مسائل أبو الوليد ابن رشد، ج١، ص٤٣؛ يونس سانون: إختيارات ابن رشد الفقهية فى الأقضية والشهادات جمعاً ودراسة، رسالة دكتوراة، جامعة أم القرى، ٢٠١١-٢٠١٢م، ص٨٠.

obeikandi.com

المنصب فأعفاه[١]، لكن فى الواقع السبب الحقيقى وراء تركه لمنصبه مُبهم، فلا يعرف السبب الحقيقى وراء هذا بالرغم من تعدد الأسباب التى سردها المؤرخون، فيقال أنه بسبب انشغاله بتأليف كتاب "البيان والتحصيل"[٢]، فى حين يشير ابن فرحون والقاضى عياض[٣]: أن السبب وراء ذلك هو إندلاع ثورة قرطبة ٥١٤هـ[٤] .

لذا يبدو أن سبب ترك ابن رشد لهذا المنصب لم يكن بسبب انشغاله فى التأليف فقط، فسوء سلوك الوالى المرابطى يحيى بن رواد[٥] خلق نوعاً من التوتر تجاه السلطة المرابطية، الأمر الذى أدى إلى اندلاع ثورة قرطبة، بالإضافة إلى تداخل سلطات قاضى الجماعة والوالى، كل تلك الأسباب مجتمعة، ربما دفعت ابن رشد إلى التقدم بطلب إعفائه من منصبه متحججاً باستكمال كتابه وبالتدريس.

سفارة ابن رشد إلى المغرب وفتوى تغريب النصارى:

تُعد سفارة ابن رشد من أهم الأدلة التى تُوحى بمكانة ابن رشد وتأثيره على الحياة السياسية بشكل مباشر، حيث تمثل تلك السفارة الدور السياسى الهام الذى كان يقوم به الفقهاء بشكل عام آنذاك وتوضح دور ابن رشد السياسى بشكل خاص حيث أنه يعد أحد رموز التوزان السياسى بين المغرب والأندلس فى عهد المرابطين[٦]، وقد أمدنا المؤرخون بمعلومات مفصلة عن تلك السفارة، من ذلك ما ذكره صاحب الحلل الموشية عن جواز ابن رشد إلى المغرب فى

---

١) طلب الإعفاء من منصبه لما عبر أمير المسلمين يوسف بن تاشفين للأندلس من أجل تهدئة فتنة قرطبة فى سنة ٥١٥هـ. (ابن رشد: مسائل أبو الوليد بن رشد، تحقيق: محمد الحبيب التجكانى، ج١، ص٤٢).

(٢) ابن أبى زرع الفاسى: الأنيس المطرب بروض القرطاس، ص ١٦٤؛ حسن على حسن: الحضارة الإسلامية فى المغرب والأندلس، ص ١٧٠ – ١٧١.

٣) الغنية، ص٥٤؛ الديباج المذهب، ج٢، ص٢٤٩.

٤) ثورة قرطبة ٥١٤هـ: يذكر أن سوء سلوك الوالى المرابطى يحيى بن رواد خلق نوعاً من التوتر تجاه السلطة المرابطية، مما أدى إلى إندلاع ثورة قرطبة، وكان سبب تلك الثورة أنه فى يوم عيد الأضحى خرج الناس متفرجين، فقام عبداً من عبيده بمد يده إلى امرأة فأمسكها، فاستغاثت بالمسلمين، فحدثت فتنة بين العبيد وأهل البلد، ولما أشار عليه الفقهاء والأعيان أن يقتل واحداً من العبيد الذين أثاروا الفتنة، غضب ورفض ولم يقف الأمر عند هذا الحد ولكنه خرج ليقاتل أهل قرطبة، فقاتلوه وهزموه وقاموا بمحاصرته فى قصره فهرب منهم، فقاموا بنهب القصر وحرق دور المرابطين، وأخرجوهم من قرطبة بصورة سيئة، فلما عرف أمير المسلمين بالأمر جمع جيوشه وعبر فى سنة ٥١٥هـ، لوضع حد لهذه الفتنة وتهدئتها.(ابن الأثير: الكامل فى التاريخ، تحقيق: سيد محمد السنارى، دار الحديث، ٢٠١٠م، ج٧ ,ص٣١٣ – ٣١٤؛ مؤلف مجهول: الحلل الموشية فى ذكر الأخبار المراكشية، مطبعة التقدم الإسلامية، تونس، ١٣٢٩هـ، ص٦٣).

٥) يحيى بن رواد: يكنى بأبا بكر، كان والياً على قرطبة أيام ثورتها سنة ٥١٤ه، من قِبل الأمير على بن يوسف بن تاشفين. (ابن الأثير: الكامل فى التاريخ، ج٧، ص٣١٣-٣١٤).

٦) محمد المغراوى: مسائل العملة والصرف، ص٦١.

سنة ٥١٩هـ (٧ فبراير١١٢٥م / ٢٦ يناير١١٢٦م) حيث يصف استقبال أمير المسلمين لابن رشد بقوله: " فوصل مراكش عاصمة المرابطين واستقبله أمير المسلمين بكثير من الحفاوة "[١]، وكان السبب الذى استدعى عبور ابن رشد للاستنجاد بأمير المسلمين، هو خيانة جماعة من النصارى المعاهدين[٢]؛]؛]، حيث قاموا بمراسلة واستدعاء ابن ردمير الملك ألفونسو الأول[٣] الملقب بالمحارب ([. : ٣) ملك أرغون([/)، بعد أن أغروه بالاستيلاء على غرناطة وزينوا له الأمر[٤]، فخرج مغيراً على بلاد المسلمين وتقابل معهم عند حصن "أرنيسول" [٥] وذلك فى يوم الأربعاء الثالث عشر من صفر سنة عشرين وخمس مائة[٦].

وتشير إحدى الرسائل المرابطية التى أوردها الدكتور محمود على مكى، إلى ردة فعل أمير المسلمين حيث جاء فيها على لسان أمير المسلمسن: " ولن نألو جهداً مبذولاً، وجهداً حفيلاً، وعزماً لا نابياً ولا كليلاً، فيما ندرأ وندفع، ونذود عن حوزة الملة ونمنع، وندأب لذلك الرأب الحثيث، ونتبع القديم فيه بالحديث " [٧].

---

١) النباهى: تاريخ قضاة الأندلس، ص ٩٩؛ مؤلف مجهول: الحلل الموشية، ص ٦٥ – ٦٦محمود على مكى: وثائق تاريخية جديدة، ص١٢٤– ١٢٦؛ خليل إبراهيم السامرائى – عبدالواحد ذنون طه – ناطق صالح مطلوب: تاريخ العرب وحضارتهم فى الأندلس، دار الكتاب الجديدة، ط١، ٢٠٠٠م، ص ٤٤٨؛ عبد الرحمن على الحجى: التاريخ الأندلسى من الفتح الإسلامى حتى سقوط غرناطة، دار القلم، بيروت، د.ت، ص ٤٣٣– ٤٣٤.

٢) النصارى المعاهدين]؛]: النصارى المعاهدون أو المعاهدة (بفتح الهاء)، أو المستعربون (بفتح الراء)، وبالإسبانية]؛]: وهم النصارى الذين بقوا بعد فتح الأندلس فى المدن و البقاع الأندلسية المفتوحة تحت حكم الدولة الإسلامية، وقد سموا كذلك بسبب المعاهدات التى عقدوها مع المسلمين، وكانت هذه المعاهدات تقتضى بعدم التعرض لهؤلاء النصارى بالأذى ماداموا قد حافظوا على عهدهم مع المسلمين، ولم يفعلوا ما يضر بالدولة الإسلامية، وكان هذا العهد أيضاً يمنحهم حرية العبادة وممارسة شعائرهم الدينية وحماية أموالهم وأنفسهم نظير دفع الجزية المقررة عليهم. (عبادة كحيلة: تاريخ النصارى فى الأندلس، ط١، ١٩٩٣م، ص٨٢؛ محمد على السعيد دبور: الدور السياسى والإجتماعى للعلماء فى الأندلس، ص ٢٠٩).

٣) الملك ألفونسو الأول: (١] /) وهو المعروف فى المصادر الإسلامية باسم "ابن ردمير"، ملك أرغن [/، والمعروف بالمحارب [.] /، حكم أرغن ونبرة بين سنتى ٤٩٩ و ٥٢٩هـ (١١٠٥– ١١٣٤م)، إستولى على سرقسطة سنة ٥١٢ هـ (١١١٨م) ,وإتخذها عاصمة لملكه، وفى ٥١٩ – ٥٢٠هـ بحملة جريئة على بلاد الأندلس من سرقسطة حتى وصل إلى السواحل الجنوبية الشرقية دون أن يتعرض لمقاومة تذكر . (ابن الخطيب: الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج١، ص١٠٨، هامش ٢؛ ابن القطان: نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، هامش رقم ١، ص١٥٢).

٤) ابن عذارى: البيان المغرب، ج٤، ص٦٩؛ محمد على السعيد دبور: الدور السياسى والإجتماعى للعلماء فى الأندلس، ص٢٠٩.

٥) أرنيسول: ويكتب أحياناً [/ أو [/، وهو حصن يقع إلى جنوب غرناطة. (ابن عذارى: البيان المغرب، ج٤، ص٧١، هامش رقم٢).

٦) ابن عذارى: البيان المغرب، ج٤، ص٧١؛ ابن القطان: نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تحقيق: محمود على مكى، دار الغرب الإسلامى، ط٢، ١٩٩٠م، ص١٥٠.

٧) محمود على مكى: وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين، ص ١٢٣– ١٢٤.

obeikandl.com

وعلى ما سبق فقد أفتى ابن رشد بتغريب النصارى المعاهدين وإجلائهم عن الأندلس، عقاباً لهم عن خيانتهم للمسلمين، كما أشار على الأمير ببناء سور مراكش وذلك لتحصينها، حيث قال له: " لا يحل لك سكنى هذه المدينة دون سور"، فبناه وأنفق عليه نحو سبعين ألف دينار(١)، وكان الطلب الأخير له من الأمير هو أن يعزل أخاه أبا الطاهر تميم(٢) عن ولاية الأندلس وأن يوليها غيره، وبعد أن أتم رحلته عاد ابن رشد إلى الأندلس، ولعل هذه السفارة كانت آخر ما اضطلع به ابن رشد فقد توفى بعدها بوقتٍ قصير(٣)، وقد تم أمر تغريب النصارى إلى المغرب فى رمضان عام ٥٢٠هـ (٤).

وفاة ابن رشد الجد:

توفى ابن رشد ليلة الأحد، ودفن عشية الحادى عشر من ذى القعدة٥٢٠هـ/١١٢٦م(٥)، وذلك فى سن السبعين عاماً، وقد دفن فى مقبرة العباس، وصلى عليه ابنه القاسم وشهده جمع عظيم من الناس، وكان الثناء عليه حسناً جميلاً، وكان آخر أعماله سفارته إلى المغرب، ولما عاد إلى قرطبة فى آخر جمادى الأولى من سنة ٥٢٠هـ/١١٢٦م، أصابته العلة التى أضجعته والتى أدت إلى وفاته، وقد تبارى الأدباء والشعراء فى تأبينه(٦).

---

١) ابن عذارى: البيان المغرب، ج٤، ص٧٢-٧٣؛ ابن القطان: نظم الجمان ,ص ١٥١؛ مؤلف مجهول: الحلل الموشية فى ذكر الأخبار المراكشية، ص٦٦ .

٢) أبى الطاهر تميم: تميم بن يوسف بن تاشفين أخو الامير على بن يوسف بن تاشفين، تولى غرناطة بأمر من أخيه على بن يوسف فى سنة٥٠٠هـ حيث ورد عليها فى سنة ٥٠١هـ، استولى على جيان وقتل شانجة ابن الأذفونش فى معركة عند حصن اقليش فى سنة ٥٠٢هـ، كما تولى مدينة تلمسان فى سنة ٥٠٤هـ، ثم عاد وتولى غرناطة مرة أخرى فى سنة ٥١١هـ، كما تولى اشبيلية بعد ولايته لغرناطة وذلك فى سنة ٥١٦هـ وفى سنة ٥١٧هـ صرفه أمير المسلمين عن ولايتها ووولاها لأبو بكر بن على بن يوسف، وتولى أبو الطاهر غرناطة مرة أخرى بالإضافة إلى قرطبة فى سنة ٥١٩هـ، ثم عزله فى رمضان من نفس السنة وعاد إلى مراكش، وفى تاريخ وفاته خلاف، والأرجح أنه توفى سنة ٥٢٠هـ .(ابن عذارى: البيان المغرب، ج٤، ص٤٨ -٤٩، ٥٥، ٦٧؛ ابن خاقان: مطمح الأنفس ومسرح التأنس، ص٣٤؛ ابن القطان: نظم الجمان، ص٦٥).

٣) النباهى: تاريخ قضاة الأندلس، ص ٩٩؛ محمود على مكى: وثائق تاريخية جديدة، ص١٢٤- ١٢٦؛ خليل إبراهيم السامرائى وآخرون: تاريخ العرب وحضارتهم فى الأندلس، ص ٤٤٨؛ عبدالرحمن على الحجى: التاريخ الأندلسى من الفتح الإسلامى حتى سقوط غرناطة، ص ٤٣٣- ٤٣٤.

٤) ابن عذارى: البيان المغرب، ج٤، ص ٧٣.

٥) حدد الضبى فى كتابه تاريخ وفاة ابن رشد بسنة ثلاثين وخمسمائة (٥٣٠هـ)، وهذا مخالف لما ذكر فى المصادر، حيث أنه مثبت فى المصادر التاريخية تاريخ وفاته فى سنة٥٢٠هـ .(بغية الملتمس، ج١، ص٢٤).

٦) ابن عذارى: البيان المغرب، ج٤، ص٧٤؛ ابن بشكوال: الصلة ,ج٢، ص ٢١٥ ؛ النباهى: تاريخ قضاة الأندلس، ص٩٩؛ الذهبى: دول الإسلام ,ج٢,ص٢٤؛ ابن فرحون: الديباج المذهب، ص ٣٧٤؛ ابن العماد: شذرات الذهب، ج٦، ص١٠٢؛ البغدادى: هدية العارفين، ج٢، ص٨٥؛ عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين، ج٣، ص٤٦.

التعريف بكتاب فتاوى ابن رشد وجامع الفتاوى ابن الوزان:

إن كتاب فتاوى ابن رشد موضوع دراستنا فى الحقيقة ليس من تأليف الفقيه ابن رشد، فقد قام اثنان من تلاميذه بتجميع الأسئلة التى وردت عليه لبيان الأحكام الشرعية فيها، لذا فالفضل فى وصول تلك الفتاوى إلينا يرجع إلى " أبى الحسن الوزان "، و" أبى مروان عبد الملك بن مسرة "، حيث قاما بتجميع فتاوى أستاذهما وشيخهما ابن رشد[١] وذلك بعد وفاته، ولكن الفضل الأكبر فى تجميع هذه الفتاوى يرجع إلى الفقيه أبو الحسن الوزان، صاحب الصلاة بجامع قرطبة (ت٥٤٣هـ /١١٤٨م) [٢]، حيث قام بتجميع الفتاوى والأحكام التى صدرت عن ابن رشد والتى سمعها عنه، فقام بتصنيفها وتبويبها وتقييدها فوصلت لنا بهذا الشكل، لكن الشىء المؤسف أن ابن الوزان لم يضع فى هذا الكتاب جميع النوازل التى كانت بين يديه، حيث أنه اكتفى بما رآه مناسباً منها[٣]، والدليل على ذلك أن محقق كتاب فتاوى ابن رشد- الذى اعتمدنا عليه فى الدراسة- قام بتجميع عدد من فتاوى ابن رشد من الكتب الفقهية المختلفة- كما سبق وأن ذكرنا، أيضاً هناك عدد كبير من الفتاوى التى ذكرها بدون تاريخ، جدير بالذكر أن " عبد العزيز بن محمد بن أحمد العبدرى، قام بكتابة نوازل ابن رشد عن طريق سماعها من شيخه ابن الوزان وذلك فى سنة ٥٣٤هـ[٤].

ويجب الإشارة هنا إلى أن ابن الوزان هو من أشار على ابن رشد بالتحرك إلى مراكش وعرض أمر الأوضاع فى الأندلس على أمير المسلمين على بن يوسف بن تاشفين[٥]، وقبل أن

---

١) مبارك جزاء الحربى: نماذج من فقهاء المالكية، ص٣٤١.

٢) ابن بشكوال: كتاب الصلة، ج٢، ص٢٢٧؛ ابن الآبار: المعجم، ص١٦٢-١٦٣؛ الضبى: بغية الملتمس فى تاريخ أهل الأندلس، ص١٣٣-١٤٣.

٣) ابن رشد: الفتاوى، ج٣، خاتمة ابن الوزان، ص١٥١٧؛ إحسان عباس: نوازل ابن رشد (من كتاب بحوث ودراسات فى الأدب والتاريخ، مج٢)، ص٤٢٣؛ مصطفى الصمدى: مسالك التأليف فى فقه النوازل بالغرب الإسلامى، ص٣٢؛ محمد حجى: جولات تاريخية، دار الغرب الإسلامى، بيروت، ط١، ١٩٩٥م، ص٢٨.

٤) عبد العزيز بن محمد العبدرى: من أهل دانية، ويكنى أبا الأصبغ، كان معنياً بلقاء الشيوخ ودراسة الرأى، عُرف عنه انه كان حسن الخط. (ابن الآبار: التكملة، ج٣، ص٩١).

٥) ابن الآبار: المعجم، ص١٦٢.

يشرع ابن رشد فى سفارته طلب ابن الوزان الإجازة منه على كل ما درسه على يديه أو سمعه منه، وقد روى ابن الوزان قصة طلبه للإجازة فى خاتمة كتاب الفتاوى[١].

وعلى ما سبق فإنه من الثابت أن ابن الوزان هو جامع فتاوى ابن رشد ومُسجلّها، إلا أن الدكتور محمد حجى أشار إلى أن هناك كتاب آخر فى النوازل منسوب إلى أبى الوليد ابن رشد يوجد مخطوطاً فى الخزانة العامة بالرباط، وعلى حسب رأيه فإن مقدمة هذا المخطوط[٢]، تدل على أن ابن رشد كان قد بدأ فى جمع فتاوي غيره من الفقهاء المشاورين من معاصريه، لكن انشغاله بتأليف كتابيه " البيان والتحصيل " و " المقدمات والممهدات " جعلاه لا يتمم مشروعه فى جمع الفتاوى، وبهذا يكون لدينا كتابان الأول وهو فتاوى ابن رشد من تجميع تلميذه ابن الوزان، والثانى هو كتاب لم يتممه ابن رشد جمع فيه فتاوى غيره من الفقهاء [٣].

ونظراً لأن ابن رشد لم يخُط هذا الكتاب ولم يجمع فتاويه فى كتاب مستقل ولم يجعل لها مقدمة كما فعل لكتابيه "المقدمات" و"البيان والتحصيل"، ولم يضع لها إسماً ولا عنواناً يلتزمه من يأتى بعده، لذا فإنه من الطبيعى أن يختلف العلماء والمؤرخون على عنوان للفتاوى، مما أدى إلى تعدد أسماؤها، فكلٍ سماها بحسب ما يراه مناسباً، فأُطلق عليها: المسائل، والأسئلة، والنوازل، والأجوبة، والجوابات، والفتاوى[٤]، ومهما تعددت أسمائها فهى تشير فى النهاية إلى كتاب الفتاوى.

---

١) حيث قال أن سبب طلبه الإجازة هو أنه وجد إجازة بخط أبى بكر بن أبى خيثمة، مذكور فيه: " قد أجزت لأبى زكريا يحيى بن سلمة، أن يروى عنه ما أحب من كتاب التاريخ الذى سمعه منى أبو محمد القاسم بن أصبغ، ومحمد بن عبدالأعلى، كما سمعاه منى، وأذنت له فى ذلك ولمن أحب من أصحابه فإن أحب أن تكون الإجازة لأحد بعد هذا، فأنا أجزت له ذلك بكتابى هذا "، وقد أشار ابن الوزان إلى ردة فعل ابن رشد حينما سأله الإجازة، حيث يذكر أنه استغرب سؤاله فى البداية ثم أجازه ما طلب متبسماً. (مسائل أبو الوليد بن رشد (الجد)، مج١، ص١٣٤٤- ١٣٤٥).

٢) يقول ابن رشد فى بداية هذا المخطوط: " وبعد حمد الله تعالى والصلاة على رسوله المصطفى، فإنى بجميل صنع الله بى، وجزيل أفضاله عندى، وحسن عونه لى، أيام نظرى فى القضاء والأحكام، وزمن تقييدى أحكام غيرى من القضاة والحكام، جرت على يدى نوازل استطلعت فيها رأى من أدركت من الشيوخ والعلماء، وانفصلت لدى مسائل نوازل كشف عنها كبار الفقهاء، إذ كانوا من أهل هذا الشأن، بأرفع مكان، وأعلى منزلة، وأعظم درجة، رسوخاً وعلماً، ودربة وفهماً. منها ما شافهتهم فيه، ومنها ما كلمتهم فى معانيه، وكنت قد علقت ذلك حسب وقوعه، لا على ترتيبه وتنويعه، لأتذكر به متى احتجت..." . (محمد حجى: جولات تاريخية، ص٢٨).

٣) محمد حجى: المرجع السابق، ص٢٨.

٤) مبارك جزاء الحربى: نماذج من فقهاء المالكية، ص٢٨٧؛ يونس سانون: إختيارات ابن رشد الجد الفقهية، ص٧٤.

وتمثل فتاوى ابن رشد طبقة فقهية مهمة من حيث فتاوى مجتهدى المذهب، وهى طبقة تعتمد مذهب إمامها لكنها ترجح فى نطاق المذهب وتستشهد بالكتاب والسنة فى بعض النوازل، وتتصرف تصرف المجتهدين، إلا أن الغالب على هذه الطبقة أنها لاتخرج عن المذهب ولكنها تختار وتستظهر وضع القواعد وتقسم وتقيس وتخرج، وهذا ينطبق على فتاوى ابن رشد، فغالباً يلجأ إلى ذلك فى بعض القضايا التى يحدث فيها نزاع وخلاف بين العلماء، فترفع إليه أو يرد فيها على ما انتقد قوله فى مسألة، وتعد فتاوى ابن رشد من نوعية الكتب التى جمعت أجوبة فقيه واحد، والتى تم جمعها من أحكامه خلال مدة قضائه وتوليه الفتوى[١].

مشكلة الخلط بين ابن رشد الجد وابن رشد الحفيد:

لقد إختلط الأمر على بعض المؤرخين عند التعريف بابن رشد الجد وابن رشد الحفيد، كما نسبوا لأحدهم مؤلفات الأخر[٢]، وذلك نظراً لأنهم يشتركون فى نفس الإسم ولأن كليهما كان قامة علمية كبيرة فى بلاد المغرب والأندلس، فقد ولد ابن رشد الحفيد قبل وفاة جده بأشهر وذلك فى سنة ٥٢٠هـ/١١٢٦م، واشتهر بدراسة علم الفلسفة، وتوفى فى التاسع من صفر سنة ٥٩٥هـ/١٢ ديسمبر١١٩٨م، بمراكش، وصفه الشقندى قائلاً: " فقيه الأندلس، وفيلسوفها الذى لايحتاج فى نباهته إلى تنبيه"[٣]، وعرف بأنه: عالم، حكيم، مشارك فى الفقه والطب والمنطق والعلوم الرياضية والإلهية، ولد بقرطبة، ونشأ بها، ودرس الفقه والأصول وعلم الكلام، كان ينشد التوفيق بين الفلسفة والدين، وهو نفسه طبيب، ثم أقبل على علوم الأوائل، ومال إلى علوم الحكماء، وكان قاضى الجماعة بقرطبة ومفتيها[٤]، ويقال أن دروسه الأولى التى تلقاها كانت فى الفقه وأصوله ثم فى علم الكلام، وكان أساتذته فى تلك العلوم من أشهر فقهاء الأندلس منهم: أبو القاسم بن بشكوال، وأبو مروان بن مسرة، وأبو بكر بن سمحون[٥]، لكنه كان محباً للفلسفة

---

١) مبارك جزاء الحربى: نماذج من فقهاء المالكية، ص٣٤٨، ٣٢٥.

٢) محمد فريد وجدى: دائرة معارف القرن العشرين، مج٢، ص٢٢٦-٢٢٨.

٣) ابن سعيد: المغرب فى حلى المغرب، ج١، ص ١٠٤.

٤) عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين، ج٣، ص٩٤؛ إبراهيم سلمان الكروى: المرجع فى الحضارة الإسلامية، ص ٢٨٥؛ محمد لطفى جمعة: تاريخ فلاسفة الإسلام، ص ١١٤ – ١١٥؛ حمادى العبيدى: ابن رشد وعلوم الشريعة الإسلامية، ص ٩؛ آنخل جنثالث بالنثيا: تاريخ الفكر الأندلسى، ص ٤٠٠.

٥) أبو بكر بن سمحون: هو أبو بكر بن سليمان بن سمحون الأنصارى، الاندلسى ,القرطبى، المقرئ، أخذ القراءآت عن: أبى القاسم بن رضا، والعربية عن أبى الحسين بن الطراوة، وكان يقرأ القرأن والنحو ,توفى بقرطبة فى سنة ٥٦٣ هـ، وقيل فى السنة التالية أى ٥٦٤هـ .(الذهبى :تاريخ الإسلام، ج ٣٩، ص١٨٥).

وأخذهاعن أبى جعفر هارون الترجالى[١]، كما أخذ الطب عن أبـى مـروان عبـدالملك ابـن جريول[٢]، ويقال أنه أخذه عن ابن باجة [٣] أيضاً[٤].

انتقلت كتب فلاسفة المشرق إلى المغرب العربى والأندلس[٥] فأحدثت فيها حركة فلسـفية نتج عنها مجموعة رائعة من أعلام الفلسفة منهم: ابن باجة وصديق ابن رشد، ابن طفيل[٦]، فقد اشتهر ابن رشد الحفيد إلى جانب الفقه والعلوم الرياضية بالفلسفة[٧]، حيث ترك لنا إرثاً عظيمـاً

---

١) أبى جعفر هارون الترجالى: من أعيان أهل إشبيلية، وكان محققـاً للعلـوم الحكيمـة، متقنـاً لهـا، معتنيـاً بكتـب أرسطوطاليس، وغيره من الحكماء المتقدمين فى صناعة الطب، فاضلاً متميزاً فيها، خبيراً بأصولها وفروعها، حسن المعالجة، محمود الطريقة، وخدم لأبى يعقوب والد المنصور، وكان من طلبة الفقيه "أبى بكر بن العربى ". (ابن أبى أصيبعة: عيون الأنباء فى طبقات الأطباء، ج٣، ص ٣١٧).

٢) أبى مروان عبدالملك بن جريول: من أساتذه ابن رشد فى الطب، وهو من أهل بلنسية سكن قرطبة، ويعـرف بـابن كُنبُراط، وكان من أهل المعرفة فى الطب والتقدم فى صناعته. (ابن الآبار: التكملة، ج٣، ص٧٩).

٣) ابن باجة: محمد بن يحيى بن باجة، أبو بكر الأندلسى، التجيبى، السرقسطى، الشاعر، الفيلسـوف، المعـروف بـإبن الصائغ، يقول عنه الذهبى: " منسوب إلى إنحلال العقيدة وسوء المذهب، وكان يعتقد أن الكواكـب تـدبر العـالم "، وتوفى فى سنة ٥٣٣هــ. (ابن خاقان: قلائد العقيان، ص ٩٣١- ٩٣٢؛ ابن خلكان: وفيات الاعيان، ج٤، ص٤٢٩؛ الذهبى: تاريخ الإسلام، ج٣٦، ص٣٣١).

– أما عن أن ابن رشد درس الفلسفة على يديه فهذا ليس صحيح لأن ابن باجة توفى فى سنة ٥٣٣هــ، وابن رشـد كان فى سن مبكرة لاتمكنه من تلقى الفلسفة والعلوم العقلية، وربما جاء هذا الظن من حديث ابن رشد عـن ابـن باجة من تقدير عظيم فكان يسميه- والد الفلسفة بالأندلس- ويرجع ذلك إلى إعجابه بكتـاب ابـن باجـة "تـدبير المتوحد" .(حمادى العبيدى: ابن رشد، ص٦٤).

٤) حمادى العبيدى: ابن رشد: ص٥٨-٦٣؛ محمد لطفى جمعة: تاريخ فلاسفة الإسلام فى المشرق والمغـرب، المكتبـة العلمية، ١٣٤٥هــ، ص ١١٨ – ١١٩.

٥) حيث انتقلت ريادة الفلسفة إلى الأندلس فى أواخر القرن الخامس الهجرى والقرن السادس للهجرة، وكانت الأندلس فى هذه الفترة تحت حكم الموحدين الذين استمر حكمهم من سنة ١١٤٦م-١٢٦٩م. (حسام الآلوسى: مدخل إلى الفلسفة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، ٢٠٠٥م، ص ١٩٨).

٦) كان ابن طفيل كغيره من علماء المسلمين فى تلك الفترة ممن اشتهروا بالتفوق والتخصص فى أكثر من علم، فقد كان موسـوعة علميه كغيره من العلماء، حيث كان طبيب وفلكى ورياضى وفيلسوف وشاعر، كما شغل منصب وزير لدى حاكم غرناطة.

٦ ،*History of Islamic*

٧) لمزيد عن ترجمة ابن رشد الحفيد راجع (ابن دحية: المطرب من أشعار أهل المغرب، تحقيق: إبراهيم الإبيارى، دار العلـم للجميع، بيروت,١٩٥٤م، ص٢١٠؛ عبد الواحد المراكشى: المعجب فى تلخيص أخبار المغرب، مطبعـة بريـل، ليـدن، ١٨٤٧م، ص ١٧٤؛ ابن أبى أصيبعة: عيون الأنباء فى طبقات الأطباء، تحقيق: عامر النجار، الهيئـة المصـرية العامـة للكتاب، ٢٠٠٠م، مج٣، ص٣١٩-٣٢٣؛ ابن سعيد: المغرب فى حلى المغرب، ج١، ص ١٠٤؛ محمد فريـد وجـدى: دائرة معارف القرن العشرين، دار الفكر، ١٩٧١م، مج ٢، ص ٢٢٦ – ٢٢٨؛ الزركلى: الأعـلام، دار العلـم للملايـين، ط١٥، ٢٠٠٢م، ج٥، ص ٣١٦-٣١٧؛ عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين (تراجم مصـنفى الكتـب العربيـة)، مؤسسـة الرسالة، ط١، ١٩٩٣م، ج٣، ص٩٤؛ إبراهيم سلمان الكروى: المرجع فى الحضارة العربية الإسلامية، مركز الاسكندرية للكتاب، ٢٠٠٨م، ص ٢٨٥؛ محمد لطفى جمعة: تاريخ فلاسفة الإسلام فى المشرق والمغرب، ١٣٤٥هـــ، ص ١١٤ – ١١٥؛ حمادى العبيدى: ابن رشد وعلوم الشريعة الإسلامية، دار الفكر العربـى، ط١، ١٩٩١م، ص ٩؛ آنخـل جنثالـث بالنثيا: تاريخ الفكر الأندلسى، ترجمة: حسين مؤنس، المركز القومى للترجمة، ص ٤٠٠؛

،*History of Islamic*

obeikandl.com

من الكتب فى مختلف الجوانب التى برع بها خصوصاً فى الجانب الفلسفى الذى تميز وبرع فيه، ولأن أول أمور الخلط بين ابن رشد الجد وابن رشد الحفيد إلى جانب تشابه الأسماء هو الخلط بين مؤلفاتهم، لزم الإشارة إلى مؤلفات ابن رشد الحفيد بصورة مختصرة، وهى كالتالى:

- **فى الفلسفة :**

اشتهر ابن رشد بكتاباته الفلسفية حتى يومنا هذا، فمن مؤلفاته فى الفلسفة شروح مؤلفات أرسطو، وكتاب تهافت التهافت المعروف فى تاريخ الفلسفة الأوروبية فى العصور الوسطى بعنوانه اللاتينى([illegible])، وقد ألفه رداً على "تهافت الفلاسفة" لأبى حامد الغزالى، وكتاب "إتصال العقل الفعال بالإنسان"، وله موجز فى المنطق ورسائل أخرى مختلفة.[١].

- **فى علوم العقائد:**

له كتاب "فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الإتصال" وهو يوضح العلاقة بين الفلسفة والشريعة، وكتاب "الكشف عن مناهج الأدلة فى عقائد الملة"[٢].

- **فى الفقه:**

سار ابن رشد على منهج أباؤه وأجداده، فقد عنى بالتأليف فى علوم الفقه، فألف فيها كتاب " بداية المجتهد ونهاية المقتصد" وهو كتاب فى الفقه على مذهب مالك، وكتاب " مختصر المستصفى فى أصول الفقه" [٣].

- **فى الفلك :**

لدينا ترجمة عبرية للمختصر الذى وضعه لكتاب المجسطى (الكتاب الجليل)، وينسب إليه كذلك كتاب "رسالة عن حركة الفلك"، وكتاب آخر عن إستدارة فلك السماء والنجوم الثابتة"[٤].

- **فى الطب :**

أهم ما ألف ابن رشد فى هذا الميدان "كتاب الكليات" وهو يسمى عند مفكرى العصور الوسطى الأوروبيون بإسم كولجيت [illegible]"، والذى يرجح أنه كتبه فى الفترة الأولى من

---

(١) إبراهيم سلمان الكروى: المرجع فى الحضارة الإسلامية، ص ٢٨٥؛ آنخل جنثالث بالنثيا: تاريخ الفكر الأندلسى، ص ٤٠٣– ٤٠٤؛ جوزيف بورلو: الحضارة الإسلامية، ص ٢٠٠.

(٢) إبراهيم سلمان الكروى: المرجع فى الحضارة الإسلامية، ص ٢٨٥؛ آنخل جنثالث بالنثيا: تاريخ الفكر الأندلسى، ص ٤٠٤.

(٣) عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين، ج٣، ص ٩٤؛ آنخل جنثالث بالنثيا: تاريخ الفكر الأندلسى، ص ٤٠٤.

(٤) آنخل جنثالث بالنثيا: تاريخ الفكر الأندلسى، ص ٤٠٥.

obeikandl.com

حياته- قبل سنة ٥٥٧هـ/١١٦٢م- وربما كان إشتغاله هذا بالطب هو الذى حبب إليه دراسة الفلسفة[١]، ووضع كذلك شروحاً لأرجوزة ابن سينا فى الطب، ولمؤلفات أخرى لجالينوس عن "الحُميات"، و"القوى الطبيعية"، و"العلل والأعراض"، وألف أيضاً مقالات عن الترياق والإسهال والمزاج وجملة من الأدوية المفردة ورسائل أخرى كثيرة، أيضاً أخرج فى سنة ٥٦٤هـ/١١٦٩م كتابه "شرح لرسالة الحيوان"[٢].

لقد اشتهر ابن رشد فى بلاد الغرب بإسم (□□□□ /)[٣]، وقد أجمع الباحثون على إعتبار ابن رشد أعظم فلاسفة الإسلام وأكثرهم أثراً فى الفكر الأوروبى، بل أن الأوروبيين يرون أنه ينتمى فى أفكاره إلى أوروبا أكثر من إنتمائه إلى العالم الإسلامى[٤] فهو يعد أكبر فيلسوف مسلم أندلسى.

أما عن عمله بالقضاء فقد إستطاع ممارسة عمله كقاضى فى كل من إشبيلية وقرطبة، فهو من القَضاة الذين جمعوا بين وظيفتى القضاء بالمغرب والأندلس، حيث استدعاه الخليفة عبدالمؤمن الموحدى[٥] ليضيف إليه قضاء المغرب بجانب قضاء الأندلس، ووصل ابن رشد الفيلسوف بمكانته العظيمة فى عهد الموحدين أقصى الدرجات وذلك بعد أن قدمه ابن طُفيل[٦] لأبى يعقوب يوسف الموحدى[٧]، ليصبح طبيبه الخاص[٨].

□١) آنخل جنثالث بالنثيا: المرجع السابق، ص ٤٠٠.

□٢) عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين، ج٣، ص٩٤؛ إبراهيم سلمان الكروى: المرجع فى الحضارة الإسلامية، ص٢٨٥؛ آنخل جنثالث بالنثيا: تاريخ الفكر الأندلسى، ص ٤٠١- ٤٠٥.

□٣) حيث تم تحريف اسمه من □□□ ـ □□ إلى □□□ـ □□ /، والتى تحولت بطبيعة الحال إلى□□ / □□"□□" □□ *History of Islamic*، □□□□ □٦

□٤) محمود إسماعيل: تاريخ الحضارة الإسلامية، ص ٢٤٣.

□٥) عبدالمؤمن الموحدى: عبدالمؤمن بن على بن مخلوف بن يعلى بن مروان، أبو محمد الكومى، أمير المؤمنين، مؤسس دولة الموحدين المؤمنية فى المغرب وإفريقية وتونس، نسبته إلى كومية (من قبائل المغرب)، ولد فى مدينة تاجرت بالمغرب (قرب تلمسان) ونشأ فيها طالب علم وأبوه صانع فخار، وحج وإلتقى بابن تومرت فتصادقا، وإنتهى الأمر بأن تولى ابن تومرت ملك المغرب الأقصى، ولقب بالمهدى، وولاه قيادة جيشه، فلما توفى ابن تومرت، إتفق أصحابه على خلافة عبدالمؤمن فى سنة ٥٢٤هـ، توفى فى رباط سلا فى طريقة إلى الأندلس مجاهداً فى سنة ٥٥٨هـ - ١١٦٣م، ونقل إلى تينملل فدفن فيها إلى جانب قبر ابن تومرت .(الزركلى: الأعلام، ج ٤، ص ١٧٠).

□٦) ابن الطفيل: صاحب قصة حى بن يقظان ذائعة الصيت، هو محمد بن عبدالملك بن محمد بن طفيل القيسى الأندلسى، أبو بكر، فيلسوف ولد فى وادى آش□□□ ٥ وتعلم الطب فى غرناطة، وهو من أهل برشانة من المرية، وخدم حاكمها، ثم أصبح طبيباً للسلطان أبى يعقوب يوسف سنة ٥٥٨هـ، وإستمر حتى توفى بمراكش سنة ٥٨١هـ وحضر السلطان جنازته، قال المراكشى " رأيت له تصانيف فى أنواع الفلسفة من الطبيعيات والإلهيات وغير ذلك ورأيت له رسالة فى النفس، وكان أمير المؤمنين أبو يعقوب شديد الشغف به والحب له " .(الصفدى: الوافى بالوفيات، ص٢٩؛ المراكشى: المعجب فى تلخيص أخبار المغرب، ص١٧٢؛ الزركلى: الأعلام، ج٦، ص٢٤٩) .

□٧) ابى يعقوب يوسف: يوسف بن عبدالمؤمن بن على القيسى الكومى، أبو يعقوب، أمير المؤمنين: من ملوك دولة الموحدين بمراكش، وهو الثالث فيهم، مولده فى تينملّل، وبويع له وهو فى إشبيلية بعد وفاة والده فى سنة ٥٥٨هـ، ثم بويع له البيعة العامة فى مراكش سنة ٥٦٠هـ، وحسنت سيرته وكان حازماً شجاعاً، عارف بسياسة رعيته، له علم بالفقه، كثير الميل إلى الحكمة والفلسفة، إستقدم إليه بعض علماء الأقطار مثل ابن رشد الحفيد، وتوفى سنة ٥٨٠هـ / ١١٨٤م، ودفن إلى جانب قبر أبيه . (الزركلى: الاعلام، ج٨، ص ٢٤١).

□٨) حسن على حسن: الحضارة الإسلامية فى المغرب والأندلس، ص١٦٦؛ جوزيف بورلو: الحضارة الإسلامية، ص ١٩٩.

openkandil.com

وقد توفى فى التاسع من صفر سنة ٥٩٥هـ/١٢ ديسمبر ١١٩٨م، بمراكش بعد عمر طال خمسة وسبعين عاماً إمتدت من سنة ٥٢٠هـ إلى سنة ٥٩٥هـ، وقد دفن بمراكش بمقبرة باب تاغزوت الواقعة خارج السور، ثم نقل بعد ثلاثة أشهر إلى قرطبة، ودفن بمقبرة أبى العباس، ويوجد ضريحه اليوم قرب سور قرطبة، ونصب له تمثال كبير قرب ضريحه(١).

ثانياً: سمات العصر الذى عاش فيه ابن رشد (٤٥٠هـ /٥٢٠هـ) :

تعد الفترة التى عاش فيها ابن رشد من أكثر الفترات اضطراباً بالأندلس، فقد اتسمت سياسياً بعدة سمات منها كثرة الحروب واستمرارها بين ملوك الطوائف وتنازعهم على الحكم، فعلى سبيل المثال نجد مدينة قرطبة والتى كانت تخضع لحكم بنى جهور لم تسلم من محاولات المعتضد بن عباد ومن بعده ابنه المعتمد فى السيطرة عليها وضمها إلى مملكتهم(٢)، وبالفعل استطاع المعتمد بن عباد أن يقضى على دولة بنى جهور فى يوم الأحد لتسع بقين من شعبان سنة ٤٦٢هـ (أول يونية ١٠٧٠م)، وذلك بعد أن استمر حكم أبو الوليد محمد بن جهور بقرطبة ستاً وعشرين سنة وستة أشهر ونصفاً (٣).

وعلى هذا فقد كانت العلاقة بين ملوك الطوائف وبعضهم البعض سيئة، فلم يكن هناك أية روابط أو تعاون مشترك بينهم، بل كانوا دوماً فى صراع، مما أدى إلى استغلال ملوك النصارى لهذا الوضع، وعملوا على إضعافهم بعدة طرق منها الوقيعة بين ملوك الطوائف ومعاونة بعضهم ضد بعض وفرض الضرائب عليهم، وهذا ما سنتطرق له فى السطور القادمة.

لقد كان هؤلاء الملوك فريسة سهلة للتحاسد والحقد والخلاف والغرور وكان ملوك النصارى يسيطرون عليهم ويتحكمون فى قرارات بعضهم فكانوا يشعلون نار الفتن لإضعافهم أكثر فأكثر ويعينوا الضعيف على القوى حتى يضعفوا جميعاً ويسهل عليهم إفتراس هذا القطيع الذى تفرق شمله وضل رعاته، فقد شهد هذا العصر حروباً صليبية حاقدة على المسلمين(٤) تسعى للقضاء عليهم وإعادة أرض الأندلس إلى حظيرة أسبانيا النصرانية وقد ساعدهم فى ذلك النصارى المعاهدون.

---

(١) حمادى العبيدى: ابن رشد، ص١٨؛ آنخل جنثالث بالنثيا: تاريخ الفكر الأندلسى، ص ٤٠٢.

History of the Moorish empire in Europe

(٣) ابن حيان: المقتبس من أنباء أهل الأندلس، تحقيق: محمود على مكى، ص٦٥؛ ابن عذارى: البيان المغرب، ج٣، ص٢٥٩؛ دوزى: ملوك الطوائف ونظرات فى تاريخ الإسلام، ص٢٢٣-٢٢٤؛ خليل إبراهيم السامرائى وآخرون: تاريخ العرب وحضارتهم فى الأندلس، ص ٢٥٢.

(٤) محمد العروسى المطوى: الحروب الصليبية فى المشرق والمغرب، ص ١٠؛ مبارك جزاء الحربى: نماذج من جهود فقهاء المالكية، ص٣٣١.

ملوك الطوائف والنصارى الأسبان:

بعد تفكك الأندلس لعدة ممالك وضعف المسلمين، أصبحت الفرصة سانحة للملوك النصارى الأسبان فى الشمال (فى جاليسيا، وقشتالة، وليون، ونافار، وأراجون، وقتلونيا أوكتلونيا)، لكسب موقع أفضل، ولم يعد الحكام المسلمين بإستطاعتهم الدفاع عن أراضيهم وعن أنفسهم، لذا فقد لجأ البعض إلى التحالف مع الممالك الشمالية[١]، ضد أبناء جلدته وذلك فى محاولة ضعيفة منهم فى الحفاظ على ممالك واهية كانت سبباً فى ضياع الأندلس .

كان وجه الإذعان والخضوع لملوك الطوائف يتمثل فى: دفع إتاوات لملوك النصارى، والإستعانة بهم ضد إخوانهم من الأمراء المسلمين، فقد دفع أمراء الطوائف إتاوة شهرية أو سنوية للملوك النصارى، وكانت تسمى باريا [illegible][٢]، وهذا الموقف معاكس تماماً لما كان متبعاً زمن الأمويين حيث كان الملوك النصارى هم من يدفعون الجزية للمسلمين، وقد دفعت الباريا إلى رامون برنجر الأول [illegible] صاحب قتلونيا خلال سنة ١٠٤٠م، وأصبحت بعد هذا التاريخ ظاهرة واسعة الإنتشار، وقد أثار هذا التصرف حفيظة أهالى الأندلس وأثار استيائهم بسبب تخاذل أمراء الطوائف وضعفهم، كما أن وضع المسلمين فى الثغور أخذ فى التدهور منذ بداية القرن الخامس الهجرى عندما إنقلبت موازين القوى السياسية والعسكرية، وأصبح أمراء الطوائف يتهالكون فى خطب ود ملوك النصارى ويدفعون لهم الجزية[٣].

وعلى ما سبق فإن ملوك النصارى الأسبان قد استغلوا هذا الوضع لصالحهم، فنجد فرناندو[٤] فى الوقت الذى كان يساعد فيه المنصور بن أبى عامر الصغير[٥] ضد مجاهد العامرى[٦]، كان يساعد ابن هود لمحاربة ابن ذى النون[٧]، وفى نفس الوقت يقوم بإعداد حملات

---

١) أوليفيا ريمى كونستبل: التجارة والتجار فى الأندلس، ص ٤٣.

٢) [illegible]: إن تعبير باريا قد إشتق من برأ [illegible] . العربية (حر، حرر، بيَن ديناً) أو من برأ، [illegible] . التى تعنى فى بعض التصريفات وهب، أعطى، تنازل . (أوليفيا ريمى كونستبل: المرجع السابق، هامش رقم ١٤، ص ٤٣).

٣) أوليفيا ريمى كونستبل: التجارة والتجار فى الأندلس، ص٤٣.

٤) فرذلند: هو فرذلند بن شانجه ملك الجلالقة بأرض الأندلس .(ابن عذارى: البيان المغرب، ج٣، ص ٢٣٨).

٥) المنصور بن أبى عامر الصغير: محمد بن عبدالله بن عامر بن محمد أبى عامر بن الوليد بن يزيد بن عبدالملك المعافرى القحطانى، أبو عامر، المعروف بالمنصور ابن أبى عامر: أمير الأندلس، فى دولة المؤيد الأموى، وأحد الشجعان الدهاة، أصله من الجزيرة الخضراء، ولد فى سنة ٣٢٦هـ -٩٣٨م، عهد إليه بوكالة السيدة صبح (أم هشام المؤيد) فولى النظر فى أموالها وضياعها، وولى الشرطة والسكة والمواريث وأضيف إليه القضاء بإشبيلية، ولما مات المستنصر الأموى كان المؤيد صغيراً، فضمن ابن أبى عامر لأم المؤيد إستقرار الملك لإبنها، وقام بشئون الدولة وغزا وفتح ودامت له الإمرة ٢٦ سنة، وتوفى ابن أبى عامر فى سنة ٣٩٢هـ - ١٠٠٢م . (الزركلى: الأعلام، ج٦، ص ٢٢٦).

٦) مجاهد العامرى: هو مجاهد بن يوسف (أبوعبدالله) بن على العامرى، بالولاء، أبو الجيش: مؤسس الدولة العامرية فى دانية [illegible] وميورقة [illegible]، وأطرافهما، رومى الأصل، ولد بقرطبة، ورباه المنصور بن أبى عامر مع مواليه، فنسب إليه . ولما كانت فتنة "البربر" خرج مجاهد من قرطبة، وتبعه جمع من موالى ابن أبى عامر، وبعض جيش الأندلس، فدخل بهم طرطوشة، وإنتقل إلى دانية فاستقل بها ٤١٢هـ واستولى على الجزائر القريبة منها، وتلقب بالموفق بالله، وغزا الإفرنج بالأساطيل فى جزيرة سردانية، فغلب على كثير منها، ودامت له الإمارة إلى أن توفى سنة ٤٣٦هـ / ١٠٤٤م، وكان حازماً يقظاً شجاعاً عارفاً بالأدب وعلوم القرآن، نعته بعض مؤرخيه بفتى أمراء دهره وأديب ملوك عصره . (الزركلى: الأعلام، ج٥، ٢٧٨).

٧) ابن عذارى: البيان المغرب، ج٣، ص ٢٧٩-٢٨٠ .

ضد مملكتى إشبيلية[١] وبطليوس[٢]، ونتيجة لتحول القوى هذا سقطت بعض المدن والقواعد الأندلسية بيد دول إسبانيا النصرانية[٣]، وبعد وفاة فرذلند سنة ٤٥٨هـ/ ١٠٦٦م، تم تقسيم أملاكه بين أبنائه: الأذفونش (ألفونسو)[٤]، وشانجة[٥]، وغرسية[٦]، ونشبت حرب أهلية فى المملكة الأسبانية وتعرضت بلادهم لهزة عنيفة من الفوضى والإضطرابات والتى لم يستغلها ملوك الطوائف لإسترداد مكانتهم وجمع كلمتهم وتوحيد صفوفهم مرة أخرى للوقوف فى وجه عدو مشترك،فبعد الحرب بين أبناء فرذلند نجح الأذفونش بمساعدة شقيقته فى توحيد مملكتى قشتالة وليون وسيطر على الممالك الإسبانية الأخرى[٧].

وتعد هذه المرحلة من أخطر مراحل الصراع بين المسيحية والإسلام أو بين الممالك النصرانية والممالك الإسلامية فى الأندلس خلال القرن الخامس، فقد كان الأذفونش (ألفونسو السادس) يهدف إلى تهديد الوجود الإسلامى فى الأندلس بضرب ملوك الطوائف بعضهم ببعض، وبمهاجمة أراضيهم ومطالبتهم بالأموال لإضعافهم عسكرياً وإقتصادياً، وقد بدأ الأذفونش بحملة صليبية ضد بلاد الأندلس سنة ٤٧٤هـ[٨]، حيث بدأ ما يسمى بـ "حرب الاسترداد"[٩]، والتى

---

١) مدينة إشبيلية: بالكسر ثم السكون، وكسر الباء الموحدة، وياء ساكنة، ولام، وياء خفيفة، مدينة بالأندلس جليلة يقال لها حمص أيضاً، ومعنى إسمها المدينة المنبسطة، بينها وبين قرطبة مسيرة ثمانية أيام ومن الأميال ثمانون، وهى كبيرة عامرة لها أسوار حصينة وسوقها عامرة وخلقها كثير وأهلها مياسير، وجل تجارتهم الزيت يتجهزون به إلى المشرق والمغرب براً وبحراً، وسورها من بناء عبدالرحمن بن الحكم . (الحموى: معجم البلدان، ج١، ص ١٩٥؛ الحميرى: الروض المعطار، ص ٥٩؛ القلقشندى: صبح الأعشا، ج٥، ص٢٢٥).

٢) مدينة بطليوس: بفتحتين، وسكون اللام، وياء مضمومة، وسين مهملة: مدينة كبيرة بالأندلس من أعمال ماردة على نهر آنة غربى قرطبة، بينها وبين ماردة أربعون ميلاً، تقع فى الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة ,وهى حديثة بناها عبدالرحمن بن مروان المعروف بالجليقى بإذن الأمير عبدالله له فى ذلك، وهى مدينة جليلة فى بسيط من الأرض ولها ربض كبير أكبر من المدينة فى شرقها خلا بالفتن وهى على ضفة نهرها الكبير المسمى الغؤور .(الحموى: معجم البلدان، ج ١، ص٤٤٧؛ القزوينى: آثار البلاد وأخبار العباد، ص٤٩٧؛ الحميرى: الروض المعطار، ص ٩٣؛ القلقشندى: صبح الأعشا، ج٥، ص٢٢٣).

٣) فايز عبدالنبى فلاح القيسى: أدب الرسائل فى الأندلس، ص ١٨.

٤) الأذفونش: هو أذفونش بن فرذلند بن غرسيه بن شانجة، هلك هذا الطاغية بطليطلة فى شهر ذى الحجة من عام اثنين وخمسمائة، وكان ملكه نيفاً على خمسين سنة ابن خاقان: قلائد العقيان، ج١، ص٧٢).

٥) شانجة: شانجة بن فرذلند، خصه أبوه فرذلند بملك برغوش وقشتالة وماحولها من المدن، كانت وفاته فى شهر المحرم من عام خمسة وتسعين وستمائة . (ابن الخطيب: الإحاطة، ج ١، ص٥٦١؛ ابن عذارى: البيان المغرب ,ج ٤، ص ٥١).

٦) غرسية: هو ابن فرذلند، وقد خصه أبيه بغليسية وبرتغال، دخل فى حرب مع أخيه اذفونش، حيث أسره أفونش وحبسه ودس عليه من قتله فى محبسه، وإنفرد فى مملكته . (ابن عذارى: البيان المغرب، ج٤، ص ٥١ –٥٢).

٧) ابن عذارى: البيان المغرب، ج٤، ص٥٠؛ فايز عبدالنبى فلاح القيسى: أدب الرسائل فى الأندلس، ص ١٧–١٨؛ أوليفيا ريمى كونستبل: التجارة والتجار، ص ٤٣؛ جاسم ياسين درويش: مدينة سالم الأندلسية، ص ١٥–١٦ .

٨) يذكر ابن أبى زرع الفاسى فى كتابه الأنيس المطرب أن هذه الحملة كانت فى سنة ٤٧٥هـ، الأنيس المطرب، ص١٤٣.

٩) ابن الخطيب: الإحاطة، ج٢، ص١١٠؛ السيد عبد العزيز سالم: المساجد والقصور فى الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، ١٩٨٦م، ص ٥٩؛ أمنينة صالحين فرج: الصلات العلمية بين عدوتى الأندلس والمغرب، ص ٤٣؛ أوليفيا ريمى كونستبل: التجارة والتجار فى الأندلس، ص٤٣.

obeikandl.com

بدأها بسيطرته على مدينة طليطلة قلب الأندلس ففرض سيطرته عليها فى عام ٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م[١]، وأخذها عاصمة لدولته ومركزاً لشن الغارات المتكررة على مدن الأندلس وهى من أكبر بلاد المسلمين وأحصنها، وأمام الحالة السيئة التى وصلت إليها الاندلس قرر العلماء والفقهاء وبعض الأمراء وعلى رأسهم المعتمد ابن عباد أمير إشبيلية توجيه نظرهم صوب المغرب الأقصى، فى اتجاه دولة المرابطين، وقد كانت هذه الدعوة بعد ثلاثة أشهر من سقوط مدينة طليطلة[٢].

وعن حالة ملوك الطوائف آنذاك يقول شكيب أرسلان[٣]: " ولما جاء ملوك الطوائف صاروا يتبسطون للخاصة، وكثير من العامة ويظهرون مدراة الجند وعوام البلاد، وكان أكثرهم يحاضر العلماء والأدباء، ويحب أن يشهر عنه ذلك عند مباديه فى الرياسة، ومنذ وقعت الفتنة بالأندلس، اعتاد أهل الممالك المتفرقة الاستبداد على إمام الجماعة، وصار فى كل جهة مملكة مستقلة يتوارث أعيانها الرياسة، كما يتوارث ملوكها الملك، ومرنوا على ذلك، فصعب ضبطهم إلى نظام واحد، وتمكن العدو منهم بالتفرق، وعداوة بعضهم لبعض".

بالإضافة إلى ماسبق فإن من يتأمل أحوال الأندلس فى عهد ملوك الطوائف فإنه يرى أن ما بلغته الأندلس من تحلل دينى وخلقى هو العلة الأولى للتفكك السياسى الذى ظل يهدد الإسلام بالانهيار فى هذه البلاد منذ أوائل القرن الخامس الهجرى، فقد شرهت نفوس النصارى إلى بلاد المسلمين، ومضوا يقتطعون من أراضيهم مستغلين العلاقات المضطربة بين ملوك الاندلس[٤]، فقد كان عصراً أليماً حزيناً تصرف فيه أولو الأمر فى الأندلس تصرفاً لا يتفق مع حال البلاد من عزة ومكانة أيام بنى أمية.

ابن رشد فى ظل بنو جهور بقرطبة :

بنو جهور كانوا أحد الأسر التى كونت مملكتها الخاصة بعد سقوط الأمويين، وقد ولد ابن رشد فى ظل دولة بنو جهور حيث نشأ فى عهدهم، لكنه لم يكن له أى دور سياسى أو علمى خلال تلك الفترة، حيث كان فى بداية طريقه فى تلقى العلم على يد شيوخه، لذا فلم يكن له دور سياسى آنذاك.

---

١) ابن الخطيب: أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام وما يتعلق بذلك من كلام، تحقيق: سيد حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، ق٢، ص١٧٩؛ المقرى: نفح الطيب، ج١، ص٤٤١؛ ابن أبى زرع: الأنيس المطرب، ص١٤٣؛ شكيب أرسلان: الحلل السندسية فى الأخبار والأثار الأندلسية، المطبعة الرحمانية، القاهرة، ط١، ١٩٣٦م، ج١، ص١٠٣، ٣٧٨، ٤٢٣؛ فايز عبدالنبى: أدب الرسائل، ص٢١؛ *History of the moors of spain*

٢) ابن الأثير: الكامل، ج٧، ص٢٨؛ خليل إبراهيم السامرائى وآخرون: تاريخ العرب وحضارتهم فى الأندلس، ص ٢٥٢.

٣) شكيب أرسلان: الحلل السندسية فى الأخبار والأثار الأندلسية، ص ٢٤٩.

٤) ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ق٢، ص١٨٢؛ محمود على مكى: وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين، ص١٢٩.

obeikandi.com

عاصر ابن رشد فترة نهاية حكم بنو جهور فى قرطبة، تحديداً فترة أبو الوليد ابن جهور وأيام خلاف أبنائه وصراعهم على الحكم[١]، ومحاولات الدولة العبادية فى الإستيلاء على قرطبة، لكنه كان صغير السن آنذاك، حيث يذكر ابن عذارى أن فى سنة ٤٥٦هـ:" كثر خوض أهل قرطبة فى الذى رأوه من تنافس ولدى أبى الوليد بن جهور فى الإنتصاف بالإمارة"[٢].

جدير بالذكر أن فى عهد أبو الوليد ابن جهور ظهرت بوادر أطماع المعتضد ابن عباد فى ضم قرطبة إلى إشبيلية[٣]، كما كان أبو الوليد محمد قد قام بتقسيم حكم إمارته بين أبنائه "عبد الرحمن" و"عبد الملك"، فعهد لإبنه الأكبر بكل مايتعلق بالشؤون المالية والإدارية، وعهد إلى ولده الثانى بالقيادة العامة والذى كان ضعيفاً، لكن فى النهاية أصبحت الأمور كلها بيد عبد الملك، وذلك بعد أن سجن أخوه فى منزله واستبد بالحكم دونه، ومن ناحية أخرى أثار ابن السقا حفيظة المعتضد بن عباد فحرض ضده عبد الملك ابن جهور فقتله فى سنة (٤٥٥هـ/١٠٦٣م)، ووضع رأس ابن السقا على طرف رمح وطاف به فى الأسواق[٤].

ابن عباد واستيلائه على قرطبة:

إن كان ابن رشد قد ولد فى عهد دولة بنو جهور، فإنه قد أكمل حياته فى عهد دولة بنو عباد قبل دخول المرابطين إلى الأندلس، فقد كان يبلغ من العمر عند دخول المعتمد إلى قرطبة ٤٦٢هـ/١٠٧٠م، اثنى عشر عاماً.

إن استيلاء ابن عباد على قرطبة ما هو إلا مثال عما كان يفعله ملوك الطوائف آنذاك تجاه بعضهم، فقد كانت أولى خطوات المعتضد بن عباد فى السيطرة على قرطبة هى التخلص من الوزير ابن السقا[٥] وقام بعد ذلك بعقد معاهدة مع عبد الملك بن جهور تعهد فيها المعتضد بتقديم المساعدة الكاملة لابن جهور للوقوف أمام أطماع بنى ذى النون أصحاب طليطلة بقرطبة، لكن المعتضد توفى قبل تحقيق حلمه فى السيطرة على قرطبة وذلك فى سنة (٤٦١هـ/١٠٦٨م)، وتولى بعده ابنه المعتمد الذى إستكمل طريق أبيه فى توثيق علاقته ببنى جهور، وقد إستغل المأمون بن ذى النون[٦] وفاة المعتضد وزحف بجيوشه إلى قرطبة واستولى

---

١) ابن سعيد: المغرب فى حلى المغرب، ص٥٦.

٢) ابن عذارى البيان المغرب، ج٣، ص٢٥٥.

(٣) ابن عذارى: البيان المغرب، ج٣، ص٢٣٢؛ فلنتينا سليمان عفانة: مملكة إشبيلية، ص ٧٥.

٤) ابن عذارى: البيان المغرب، ج٣، ص٢٥٨؛ المقرى: نفح الطيب، ج١، ص ٤٣٩؛ ابن عذارى: البيان المغرب، ج٣، ص٢٥١؛ دوزى: ملوك الطوائف ونظرات فى تاريخ الإسلام، ص٢٢٢؛ فلنتينا سليمان عفانة: مملكة إشبيلية زمن بنى عباد، ص٧٥.

٥) ابن بسام: الذخيرة، ق١، مج٢، ص٦٠٩.

٦) المأمون بن ذى النون: هو يحيى بن إسماعيل بن ذى النون الملقب بالمأمون، من ضمن ملوك الطوائف، حكم طليطلة بعد أبيه، ووسع ملكه فكان يسير على سنن ابيه فى الحكم، وكان دائم الحروب مع بنى هود وبنى عباد، وقد توفى فى سنة ٤٦٧هـ. (ابن عذارى: البيان المغرب، ج٣، ص٢٧٦-٢٨٣).

obeikandl.com

على حصونها فإستغاث ابن جهور بالمعتمد الذى أمده بـ ١٣٠٠ فارس، قام بعد ذلك ابن عباد بإرسال قواده لإخراج بنى ذى النون من قرطبة والإقامة مكانهم[١]، على أن المساعدة الأكبر التى حصل عليها ابن عباد للوصول إلى قرطبة والسيطرة عليها كانت من خلال أهالى قرطبة الذين ناشدوه البقاء وتخليصهم من عبد الملك بن جهور، وقد نجح قادة المعتمد فى القبض على عبد الملك وأخيه ووالدهم أبو الوليد بن جهور، وأخرجهم المعتمد إلى جزيرة شلطيش[٢]، فظلوا هناك معظم أيام المعتمد، ولم يبق "أبوالوليد بن جهور" على قيد الحياة بعد هذه النكبة سوى أربعين يوماً [٣].

حاول ابن ذى النون عدة مرات بعد ذلك أن يستولى على قرطبة فإتفق مع ابن عكاشة[٤] الذى كان معاوناً لابن السقا وزير ابن جهور على خطة تمكنوا بها من دخول قرطبة وقاموا بطرد الحامية العبادية منها وذلك فى سنة ٤٦٧هـ / ١٠٧٥م[٥]، وظلت قرطبة تحت حكم الدولة الذنونية عدة أشهر فقط[٦]، ويصف ابن خاقان حالة القرطبين مع حكامهم بقوله " وهيهات كم من ملكٍ كفنوه بدمائه، ودفنوه بذمائه، وكم من عرش ثلوه، وكم من عزيز أذلوه إلى أن ثار فيهم ابن عكاشة ليلاً، وجر إليها حرباً وويلاً " [٧]، هذا وقام ابن عكاشة بقطع رأس الظافر بن المعتمد، وذلك بعد أن هاجم المدينة ليلاً [٨]، ورفع رأسه على رمح طاف به فى كل نواحى قرطبة، وهكذا أقيمت الدعوة الذنونية فى قرطبة، وبعد ذلك بفترة وجيزة توفى المأمون بن ذى النون وخلفه ابنه يحيى، وتولى أمر قرطبة وإدارتها ابن عكاشة، وعادت محاولات المعتمد بن عباد من جديد

---

١) ابن عذارى: البيان المغرب، ج٣، ص٢٥٧،٢٦٠.

٢) جزيرة شلطيش: بفتح أوله، وسكون ثانيه، وكسر الطاء، وأخره شين أخرى: بلدة صغيرة فى غربى إشبيلية على البحر، وتقع بالقرب من مدينة لبلة، وهى جزيرة لا سور لها ولا حظيرة، إنما هى بنيان متصل بعضه ببعض، وبها دار صناعة للحديد، ويحيط بها البحر من كل ناحية إلا مقدار نصف رمية حجر، وهى مرفأ للسفن وركاب البحر، ويسكنها جماعة من النصارى. (الحموى: معجم البلدان، ج٣، ص ٣٥٩؛ الحميرى: الروض المعطار، ص ٣٤٣ – ٣٤٤).

٣) ابن حيان: المقتبس من أنباء أهل الأندلس، تحقيق: محمود على مكى، لجنة إحياء التراث الإسلامى، القاهرة، ٢٠١٣م، ص٦٥؛ ابن عذارى: البيان المغرب، ج٣، ص٢٥٩–٢٦١؛ دوزى: ملوك الطوائف، ص ٢٢٣ – ٢٢٤؛ فلنتينا سليمان عفانة: مملكة إشبيلية زمن بنى عباد، ص ٧٦ .

٤) ابن عكاشة: هو حريز بن حكم بن عكاشة، ثار على الظافر بن المعتمد بن عباد بقرطبة ,وقتله، وكان عكاشة هذا من أنصار ابن ذى النون، وكان أميراً لقلعة رباح، وهو من ذرية عكاشة بن محصن صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقتل سنة ٤٨٠هـ بحصن مسطاسة .(ابن الآبار: الحلة السيراء، ج ٢، ص١٧٧– ١٧٨؛ ابن سعيد: المغرب فى حلى المغرب، ج١، هامش رقم٢، ص٥٧).

٥) ابن الخطيب: أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، ج٢، ص١٥٥.

٦) ابن حيان: المقتبس من أنباء أهل الأندلس، ص ٣٣.

٧) المقرى: نفح الطيب، ج١، ص٦٢٦؛ ابن خاقان: قلائد العقيان ومحاسن الأعيان، ص ٦٨.

٨) الظافر بن المعتمد بن عباد: ملك قرطبة لأبيه من بنى جهور فى سنة ٤٦١هـ، إلى أن ثار عليه فيها حريز بن عكاشة وقتله . (ابن خاقان: قلائد العقيان، هامش رقم٣، ص ٦٧).

لدخول قرطبة فدخلها فى ٢٧ ذى القعدة من سنة ٤٦٧هـ / ١٠٧٥م[١]، وطاردت قواته ابن عكاشة وقتلته، وأصبحت قرطبة تابعة لإشبيلية وإستمرت على هذا الحال مدة تزيد على ستة عشر عاماً[٢]، حيث ظلت تحت حكم الدولة العبادية حتى سنة ٤٨٤هـ/١٠٩١م، وبعد هذا التاريخ أصبحت بيد المرابطين[٣]، ويذكر ابن خاقان[٤] أن قرطبة كانت " منتهى أمل المعتمد و رَوْم أمرها أشهى عمله".

استدعاء النصارى المعاهدون لألفونسو السادس:

قام النصارى المعاهدون بإستدعاء ألفونسو السادس للإستيلاء على غرناطة، حيث تحرك بجيوش من الروم والإفرنج والبُشكنس والجلالقة وغيرهم، فهجم على المدن الأندلسية يخرب ويقتل ويسبى الواحدة تلو الأخرى ويقف عند كل مدينة ثلاثة أيام، كما أرسل إلى كل قاعدة من قواعد الأندلس جيشاً لحصارها والتضييق عليها، حيث نزل على إشبيلية وأقام فيها ثلاثة أيام، وخرب العديد من القرى فى الشرق، أيضاً نزل بأشذونة [٥] ووصل إلى جزيرة طريف، فأدخل قوائم فرسه فى البحر وقال: (هذا أخر بلاد الأندلس قد وطئته) ثم عاد إلى مدينة سرقسطة فحاصرها وصمم على دخولها، فحاول أميرها المستعين بن هود[٦] أن يصرفه عنها بمنحه مال

---

١) ابن حيان: المقتبس من أنباء أهل الأندلس، ص٦٥؛ ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ج٢، ص١٤٧، ١٥٥؛ ابن عذارى: البيان المغرب، ج٣، ص٢٥٩؛ دوزى: ملوك الطوائف ونظرات فى تاريخ الإسلام، ص٢٢٣-٢٢٤؛ خليل إبراهيم السامرائى وآخرون: تاريخ العرب وحضارتهم فى الأندلس، ص ٢٥٢ .

٢) ابن الخطيب: أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام وما يتعلق بذلك من الكلام، تحقيق: سيد حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، ج٢، ص١٤٧؛ ابن عذارى: البيان المغرب، ج٣، ص٢٦١؛ فلنتينا سليمان عفانة: مملكة إشبيلية زمن بنى عباد، ص ٧٧.

٣) ابن حيان: المقتبس من انباء أهل الأندلس، ص٣٣.

٤ ابن خاقان: قلائد العقيان، ص ٦٧.

٥) مدينة أشذونة: أو "شذونة" بفتح أوّله، وبعد الواو الساكنة نون: مدينة بالأندلس تتصل نواحيها بنواحى مورور إلى الغرب مائلة إلى القبلة؛ وعمل شذونة خمسون ميلاً فى مثلها، وهى من الكور المجندة، وهى كورة جليلة القدر، جامعة لخيرات البحر، كريمة البقعة عذية التربة، وقد لجأ إليها عامة أهل الأندلس سنة ستة وثلاثين ومائة، وكانت الأندلس قد قحطت ستة أعوام، ومن كور شذونة شريش وغيرها، وفيها كانت هزيمة لذريق حين إفتتحت الأندلس سنة ست وتسعين، وكانت جباية شذونة فى أيام الأمير الحكم بن هشام خمسين ألفاً وستمائة. (الحموى: معجم البلدان، ج ٣، ٣٢٩؛ الحميرى: الروض المعطار، ص٣٣٩).

٦) المستعين بن هود: هو أحمد(المستعين) بن المؤتمن بن المقتدر بن سليمان بن محمد بن هود: رابع ملوك الدولة الهودية (من دول الطوائف بالأندلس) وكان مقام ملوكها فى سرقسطة، ولى بعد وفاة أبيه سنة ٤٧٨هـ، وكان من الغزاة وله وقائع مع الإفرنج وكانت فى أيامه وقعة وشقة [illegible] ٦ سنة ٤٨٩هـ /١٠٩٦م، وإستمر فى الإمارة إلى أن قتل شهيداً بظاهر سرقسطة فى زحف الطاغية إليها، وكانت وفاته سنة ٥٠٣هـ / ١١٠٩م. (ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر فى تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوى الشأن الأكبر، ج٤، ص٢٠٩ – ٢١٠؛ الزركلى: الأعلام، ج ١، ص ٢٧٣).

obeikandl.com

عظيم حتى يرتحل عنها لكنه رفض وقال: " المال والبلاد لى "[1]، فلم يعد يقنع بجزية ولا هدية وإنما كان هدفه أكبر من ذلك، فقد استطاع أن يسيطر على طليطلة[2] قاعدة الثغر الأدنى وعاصمة القوط القديمة وذلك فى محرم سنة ٤٧٨هـ[3] خرب خلالها أحوازها ودمر زروعها وعاث فيها فساداً، بعد أن إستولى ألفونسو السادس ملك قشتالة وليون على طليطلة أكبر ممالك الطوائف لم يعد الأندلس يشمل إلا ثلث شبه الجزيرة فقط، وإتخذها عاصمة لمملكته وحول جامعها إلى كنيسة، وكان لسقوطها عظيم الأثر على أهل الأندلس وذلك لأهميتها الدينية والمعنوية، وساد شعور وتخوف من تداعى بقية الممالك فنجد الفقيه عبدالله بن العسال[4] يقول:

يا أهل أندلس حثوا مطيكم ... فما المقام بها إلا من الغلط
الثوب ينسل من أطرافه وأرى ... ثوب الجزيرة منسولاً من الوسط
ونحن بين عدو لا يفارقنا ... كيف الحياة مع الحيات فى سفط

موقف علماء الأندلس واستنجادهم بالمرابطين:

اتسم هذا العصر أيضاً بموقف علماء وفقهاء الأندلس من ملوك الطوائف، فبعد سقوط طليطلة اجتمع مجموعة من فقهاء قرطبة فى سنة ٤٧٩هـ، وعلى رأسهم قاضي قرطبة عبد الله ابن محمد بن أدهم (ت ٤٨٦هـ)، وكان هذا الاجتماع من أجل التوصل لحل إزاء فشل ملوك الطوائف فى الدفاع عن الأندلس، فتشاوروا فى أحوال البلاد وتعددت الإقتراحات حيث إقترح البعض أن يستنجدوا بعرب إفريقية الهلاليين، ولكنهم تخوفوا من تخريبهم للبلاد كما فعلوا

---

١) ابن أبى زرع الفاسى: الأنيس المطرب بروض القرطاس فى أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، ص ١٤٣-١٤٤.

٢) مدينة طليطلة: [illegible]، بضم الطاءين وفتح اللامين، وأكثر ماسمعناه من المغاربة بضم الأولى وفتح الثانية، وهى مدينة كبيرة بالأندلس بينها وبين البرج المسمى وادى الحجارة خمسة وستون ميلاً، وهى مركز لجميع بلاد الأندلس لأن منها إلى قرطبة تسع مراحل، ومنها إلى بلنسيه تسع مراحل أيضاً؛ ومنها إلى المرية فى البحر الشامى تسع مراحل أيضاً، وهى غربى ثغر الروم، وكانت قاعدة ملوك القرطبيين وموضع قرارهم؛ وهى على شاطئ نهر تاجه وعليه القنطرة التى يعجز الواصف عن وصفها□الحموى: معجم البلدان، ج٤، ص٣٩ -٤٠؛ الحميرى: الروض المعطار، ص ٣٩٣).

٣) ابن أبى زرع الفاسى: الأنيس المطرب بروض القرطاس فى أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، ص ١٤٣؛ فايز عبدالنبى فلاح القيسى: أدب الرسائل، ص ٢١.

٤) الفقيه عبدالله بن العسال: هو أبو عبدالله محمد بن مسرور العسال، سمع من يحيى بن عمر وأحمد بن معتب وعبدالجبار بن خالد وأخيه عمر بن العسال وغيرهم، رحل إلى المشرق فسمع بمصر من على بن عبدالعزيز المدينى وغيره، وكان من اهل العلم والعبادة كثير الصوم يختم كل ليلة ختمة وكان فاضلاً جليلاً، وكان الناس يقصدون إليه ويطلبون منه الدعاء ويتبركون بلقائه ورؤيته، وتوفى ليلة السبت لثلاث بقين من ذى القعدة سنة ست وأربعين وثلاثمائة، وهو ابن ست وتسعين سنة . (الدباغ: معالم الإيمان فى معرفة أهل القيروان، ج٣، ص ٥٩ -٦٠).

بإفريقية، وبعد مشاورات خلصوا إلى الإستنجاد بالمرابطين[١]، فطلب منه المجتمعون أن يكاتب يوسف بن تاشفين وأن يستدعيه وفوضوه الأمر ويبدو أن خبر هذا الاجتماع قد وصل إلى المعتمد بن عباد، فخرج من إشبيلية إلى قرطبة، ولنا أن نتصور مدى الموقف الحرج الذى كان واقعاً فيه المعتمد فها هو واقع بين عدو يساومه على ممتلكاته ويزيد عليه المطالب المهينة، ورعية لم يعودوا يثقون فيه وفى قدرته على الدفاع عنهم وعن بلادهم، لذا فلم يكن أمامه سوى أن يصغى لأهل الأندلس من ناحية لكسبهم فى صفه ومن ناحية أخرى نكاية فى ألفونسو السادس[٢]، وعلى الرغم من المعارضة الشديدة التى لاقاها إزاء موافقته على استدعاء ابن تاشفين المعتمد إلا أنه رد علي معارضيه قائلاً بأنه " يفضل رعى الجمال على رعى الخنازير " [٣].

ويستوقفنا هنا موقف المعتمد من استدعاء المرابطين، فقد تبنى المؤرخون والباحثون كلاً منهم تفسيراً مختلفاً لموقف المعتمد بن عباد، فلا يمكننا اعتماد فكرة أنه لجأ للمرابطين مرضاة لله سبحانه وتعالى، كيف يمكننا قول هذا وهو من عقد معاهدة مع ألفونسو ضد ملوك الطوائف أبناء جلدته[٤] ؟ فلا يمكننا أن نقول أنه أدرك فداحة خطئه، أو أن ألفونسو عمد إلى استفذاذه بكثره طلباته، لكن يمكننا أن نستنتج من كلا الرأيين أنه خاف على زوال ملكه على يد ملوك النصارى بعد أن سقطت ممالك الطوائف تباعاً، فأراد أن يحمى ملكه باللجوء إلى المرابطين.

---

١) المرابطين: هم جماعة ينتمون إلى قبيلة لمتونة، وهى من بطون صنهاجة الكبرى، فهم صنهاجيون بدو كانوا يتنقلون فى الصحراء الواقعة بين جنوبى المغرب الأقصى وقبائل إفريقية المدارية السوداء حتى السنغال وغيرها من بلاد السودان، وقد إشتق إسم لمتونة من ثيابهم المسماة "اللمت"، وإتخذ اللمتونين لأنفسهم لقب المرابطين وهو متخذ من كلمة رباط، والرباط هو هو مكان ينفرد به المسلمون للعبادة ويتأهبون للجهاد فى الثغور للدفاع عن أرض الإسلام، كما أطلق عليهم أيضاً الملثمين لأنهم إتخذوا اللثام على وجوههم شعاراً لهم، كانوا يدينون بالوثنية قبل أن يتحولوا للإسلام فى أواسط القرن الحادى عشر الميلادى على يد رجلين أحدهما من لمتونة وهو يحيى بن إبراهيم اللمتونى والأخر هو عبدالله بن ياسين الجزولى، وتعد دولة المرابطين أول دولة بربرية صرفة ذات قيادة من البربر قدر لها أن تحقق وحدة معظم أقاليم الغرب الإسلامى وتضطلع بدور جهادى فى الأندلس ضد النصارى. (ابن منظور: لسان العرب، ج ٧، ص٣٠٢؛ حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسى والدينى والثقافى والإجتماعى، ج ٤، ص ١١٢-١١٣؛ إبراهيم القادرى بوتشيش: المغرب والأندلس فى عصر المرابطين، ص ٨؛ على الصلابى: الجوهر الثمين بمعرفة دولة المرابطين، ص١١؛ أسعد حومد: محنة العرب فى الأندلس، ص ١١٦-١١٧؛ شوقى ضيف: عصر الدول والإمارات، ص٢٧٤؛ أمنينة صالحين فرج: الصلات العلمية بين عدوتى الأندلس والمغرب زمن المرابطين، ص ٢٤؛ عبدالنبى بن محمد: مسكوكات المرابطين والموحدين فى شمال أفريقيا والأندلس، ص ٨).

٢) المقرى: نفح الطيب، ج٤، ص ٣٦٠؛ ابن الأثير: الكامل، ج٧، ص ٣٥؛ محمد محمود عبدالله بن بيه: الأثر السياسى للعلماء، ص ١١٨- ١١٩.

٣) المقرى: نفح الطيب، ج٤، ص٣٥٩؛ ابن الخطيب: الإحاطة، ج٢، ص١٠٩؛ فايز عبدالنبى فلاح القيسى: أدب الرسائل، ص٢٤؛
History of the Moorish empire in Europe

٤) عن نقض هذا الصلح راجع كتاب الحميرى: الروض المعطار فى خبر الأقطار، ص٢٨٨.

المرابطون فى الأندلس حتى سنة ٥٢٠هـ:

كان لاستنجاد مسلمى الأندلس بالمرابطين وعلى رأسهم المعتمد بن عباد[١] صداه لـدى ألفونسو السادس، فقد أرسل إلى ابن تاشفين رسالة يستعرض فيها قواه وما آل إليه حال الأندلس بعد أن عاث فيها فساداً بجنده وتسلط على ملوكها[٢]، فعبر ابن تاشفين للأندلس لمحاربته وذلـك فى ربيع الأول (٤٧٩هـ / ١٠٨٦م)، بعد أن أعد جيشاً كبيراً مدعماً إياه بأسطول ضخم، وقام المعتمد بإخلاء مدينة الجزيرة الخضراء لتكون رباطاً لجيشه، وكان أول من تلقاه مـن أمـراء الأندلس فأكرمه ودعاه للنزول إلى إشبيلية للراحة من رحلته، ولكن ابن تاشفين إعتذر قائلاً " إنما جئت ناوياً جهاد العدو فحيثما كان العدو توجهت وجهه " [٣]، وانضم إليه من أمراء الطوائـف كلاً من: المتوكل أمير بطليوس[٤]، وعبد الله بن بلكين أمير غرناطة[٥] بجيوشهم، ولم ينضم بنو الأفطس لهم ولم يرسلوا أية معونة وكأنهم خافوا أن ينتزع المرابطون منهم البلاد.

فى ذلك الوقت كان ملوك النصارى منشغلين بإفتراسهم لـبلاد المسـلمين مدينـة تلـو الأخرى، فكان ألفونسو السادس يضيق الخناق على سرقسـطة، وملـك أرغونـة[٦] يحاصـر طرطوشة، وأمير برشلونة[٧] يتأهب لغزو بلنسية [٨]، فلما وصلهم خبر وصول ابن تاشفين أقلعوا

---

١) ابن الآبار: الحلة السيراء، ج٢، ص٥٤-٥٥.

٢) حيث يقول فى الرسالة: "من أمير النصرانية أذفونش بن فردلند إلى يوسف بن تاشفين، أما بعد فإنك اليـوم أميـر المسـلمين ببلاد المغرب وسلطانهم، وأهل الأندلس قد ضعفوا عن مقاومتى ومقابلتى، وقد أذللتهم بأخذ الجزية منهم وبالقتـل والأسـر والذل والقهر، وأنا لا أقنع إلا بأخذ البلاد وقد وجب عليك نصرهم لأنهم أهل ملتك، فإما أن تجوز إلىّ، وإما أن ترسل إلـىّ المراكب أجوز إليك، فإن غلبتنى كان مُلك الأندلس والمغرب إليك وإن غلبتك إنقطع طمع أهل الأندلس من نصـرهم إيـاهم فإن نفوسهم متعلقة بنصرتك لهم "، فلما وصل إليه كتابه أمر أن يُكتب له على ظهر كتابه: "من أمير المسلمين إلى أذفـونش، أما بعد فإن الجواب ما تراه بعينك لا ما تسمعه بأذنك، والسلام على من اتبع الهدى. (لسان الـدين بـن الخطيـب: تـاريخ المغرب العربى فى العصر الوسيط (القسم الثالث من كتاب أعمال الأعلام)، ص ٢٣٨-٢٤٠).

٣) المراكشى: المعجب، ص٩٢؛ محمد محمود عبدالله بن بيه: الأثر السياسى للعلماء فى عصر المرابطين، ص ١٢١.

٤) مؤلف مجهول: الحلل الموشية، ص٢٢؛ ابن أبى زرع: الانيس المطرب، ص١٤٥؛ محمد محمود عبدالله بـن بيـه: الأثر السياسى للعلماء فى عصر المرابطين، ص ١٢١؛
[illegible] *History of the Moorish empire in Europe* [illegible]

٥) حيث أورد هذا اللقاء فى مذكراته، حيث يقول: " ولقينا أمير المسلمين فى طريقه إلى بطليوس فى جريشة ولقينا مـن كرمـه وتحفّيه بنا ما زادنا به رغبة، ولو استطعنا أن نمنحه لحومنا، فضلاً عن أموالنا لفعلنا". (عبد الله بن بلكين: مذكرات الأميـر عبد الله آخر ملوك بنى زيرى المسماة التبيان، تحقيق: ليفى بروفنسال، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٥م، ص١٠٤).

٦) أرغونة: أو أرجونة، بالفتح ثم السكون، وجيم مضمومة، وواو ساكنة ونون، وهى مدينة أو قلعة بالأندلس وتقع مـن ناحية جيان بالأندلس.(الحموى: معجم البلدان، ج١ ,ص ١٤٤؛ الحميرى: الروض المعطار، ص ٢٦).

٧) برشلونة: مدينة للروم بينها وبين طركونة خمسون ميلاً، وبرشلونة على البحر، ولها ربض وعليهـا سـور منيـع، والدخول إليها والخروج عنها إلى الأندلس على باب الجبل المسمى بهيكل الزهرة ويسكن برشلونة ملك افرنجة وهى دار ملكهم، وبرشلونة كثيرة الحنطة والحبوب والعسل، واليهود بها يعدلون النصارى كثرة وربضها خـارج عنهـا، وهى فى القسم الثالث من الأندلس وهى مسورة كبيرة . (الحميرى: الروض المعطار، ص ٨٧).

٨) بلنسية: السين مهملة مكسورة وياء خفيفة، كورة ومدينة تقع فى شرق الأندلس، وهى مدينة سهلية وقاعدة من قواعـد الأندلس، وهى برية بحرية ذات أشجار وأنهار، والغالب على شجرها القراسيا، وتعرف بمدينة التراب، وكان الروم قد ملكوها سنة ٤٨٧هـ . (الحموى: معجم البلدان، ج١، ص٤٩٠؛ الحميرى: الروض المعطار، ص٩٧).

عما كانوا يفعلونه وإتفقوا جميعاً حول ألفونسو، فتوافدت عليه الوفود من قشتالة وجليقية وبنبلونة وفوداً لا تحصى[١].

والتقى الجيش المرابطى بجيش النصارى عند موضع يقال لـه الزلاقة ([illegible]) وتقع على مقربة من بطليوس وذلك فى يوم الجمعة الثانى عشر من رجب ٤٧٩هـ / أكتوبر ١٠٨٦م [٢]، وبلغ جيش ألفونسو ثمانية ألف فارس ومائتى ألف راجل[٣]، وانتصر المسلمون على النصارى، وأسروا منهم عشرات الآلاف، ونجا ألفونسو بأعجوبة مع نفر قليل من أصحابه بعد أن جرح فى المعركة بطعنة كادت أن تقتله[٤].

وعاد ابن تاشفين إلى المغرب بعد أن أعطى أمل النصر لأهل الأندلس، وبعد هذه الموقعة وعودة ابن تاشفين لم يستمر أمراء الطوائف على وفاق فقد عادوا إلى سيرتهم الأولى من الخلاف فيما بينهم والإتصال بالعدو وأداء الجزية رغم ما تعهدوا به أمام ابن تاشفين فى إجتماعه بهم قبل رجوعه إلى المغرب من أنهم سيحافظوا على وفاقهم وإتحدهم ضد عدوهم المشترك، وقد ترك ابن تاشفين فى الأندلس ثلاثة آلاف جندى بقيادة سير بن أبى بكر نيابةً عنه [٥].

وعلى الرغم من الوضع السياسى الحرج التى وصلت إليه الأندلس إلا أن المرابطين لم يسيطروا عليها إلا بعد العبور الثالث فى سنة ٤٨٣هـ، حيث استفتى يوسف بن تاشفين علماء الأندلس فى خلع أمراء الطوائف فأفتوه بخلعهم، وبالفعل جهز جيشاً وعبر إليهم وحاصر مدنهم ودخلها، ونجح فى السيطرة على معظم مدن الأندلس كطليطلة وغرناطة لأن صاحبها عبد الله بن بلكين كان قد صالح ألفونسو السادس وساعده ضد يوسف بن تاشفين وأرسل له بالأموال[٦]،

---

١) ابن أبى زرع: الأنيس المطرب، ص ١٤٦؛ محمد العروسى المطوى: الحروب الصليبية فى المشرق والمغرب، ص ٢١٥ – ٢١٦ ص ٢١٩ / شوقى ضيف: عصر الدول والإمارات، ص ٢٧٧ – ٢٨٧.

٢) ابن الأثير: الكامل، ج٧، ص٣٤–٣٨؛
[illegible] *History of the Moorish empire in Europe* [illegible]

٣) ابن أبى دينار: المؤنس فى أخبار أفريقية وتونس، المطبعة التونسية، ط١، ١٢٨٦هـ، ص ١٠٤.

٤) المقرى: نفح الطيب، ج٤، ص٣٥٤– ٣٦٧؛ محمد العروسى المطوى: الحروب الصليبية فى المشرق والمغرب، دار الغرب الإسلامى، ط٢، ١٩٨٢م، ص٢١٩؛ أسعد حومد: محنة العرب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، د.ت، ص١١٦؛ جاسم ياسين الدرويش – حسين جبار العلياوى: لشبونة فى العصر الإسلامى، مجلة دراسات تاريخية، العدد الرابع,٢٠٠٨م، ص١١؛ جوزيف بورلو: الحضارة الإسلامية، ص ١٨٤– ١٨٥.

٥) المقرى: نفح الطيب، ج٤، ص٣٧٠؛ محمد محمود عبدالله بن بيه: الأثر السياسى للعلماء، ص ١٢٥ .

٦) ابن أبى زرع: الانيس المطرب، ص١٥٣.

obeikandi.com

كما استولى على قرطبة فى يوم الأربعاء الثالث من صفر سنة ٤٨٤هـ/٢٦ مارس ١٠٩١م، وقام بحصار إشبيلية وسيطر عليها(١)، كما نفى أمراء تلك المدن إلى بلاد المغرب وأخذ ابن عباد أسيراً وسجنه فى أغمات(٢) حتى توفى(٣) بها(٤).

عبر ابن تاشفين للمرة الرابعة فى سنة ٤٩٠هـ /١٠٩٦م، بعد أن جهز جيشاً من المرابطين والأندلسين بقيادة محمد بن الحاج ووجهه صوب طليطلة عاصمة قشتالة آنذاك، والتقى بالقشتاليين بقيادة ألفونسو قرب كنشرة ([illegible])، فإنهزم ألفونسو وتكبد خسائر كبيرة، جدير بالذكر أن ابن الكردبوس أول من أورد الإسم العربى لمكان هذه الموقعة، فى حين ذكرت المصادر الأسبانية أن المرابطين إنتصروا على القشتاليين فى [illegible]، وأضاف أن السيد القمبيطور المسمى دييجو [illegible] قتل فى هذه الموقعة (٥).

وكما ذكرنا سابقاً فإن هذا العصر اتسم بكثرة الحروب، سواء بين أمراء الطوائف وبعضهم البعض، أو بينهم وبين ملوك النصارى، وفى عهد المرابطين استمرت الحروب بينهم وبين النصارى أيضاً(٦)، جدير بالذكر أن أهم الوقائع التى حدثت فى تلك الفترة من منظور خاص بموضوع دراستنا، هى واقعة استدعاء النصارى المعاهدون لابن ردمير- والتى أشرنا إليها سابقاً- وذلك لأنها الواقعة التى كانت سبباً فى عبور ابن رشد الجد للاستنجاد بالمرابطين، حيث قام ابن ردمير فى أواخر شعبان ٥١٩هـ (أوائل سبتمبر ١١٢٥م) بالخروج من سرقسطة على رأس حملة كبيرة مخترقاً الأندلس من الشمال إلى الجنوب، وذلك بعد أن أغراه النصارى

---

(١) ابن أبى زرع: الأنيس المطرب، ص١٥٤؛
[illegible] *History of the moors of spain* [illegible]؛

(٢) أغمات: ناحية فى بلاد البربر من أرض المغرب بالقرب من مراكش، وأهلها تجار مياسير، وأغمات مدينتان أحدهما تسمى أغمات وريكة، والأخرى أغمات هيلانة وبينهما نحو ثمانية أميال، وبين أغمات ومراكش ثلاثة فراسخ هى فى سفح الجبل. (الحموى: معجم البلدان، ج ١، ص ٢٢٥؛ الحميرى: الروض المعطار، ص ٤٦).

(٣) المقرى: نفح الطيب، ج٤، ص٣٧٣؛ ابن الآبار: الحلة السيراء، ج٢، ص٥٥؛ ابن أبى زرع الفاسى: الأنيس المطرب، ص ١٥٣ - ١٥٤؛ ابن أبى دينار: المؤنس فى أخبار إفريقية، ص١٠٥؛ محمد العروسى المطوى: الحروب الصليبية، ص٢٢٠؛ شوقى ضيف: عصر الدول والإمارات، دار المعارف، ط١، ١٩٩٥م، ص٢٧٨.

(٤) يقال أن يوم موته نودى عليه على الصلاة على الغريب، ويروى أن بناته كنّ يغزلن بالأجر وأن ابن ابنه كان يضرم النار فى حانوت صائغ بعدما كان ملكاً على إشبيلية وقرطبة. (ابن أبى دينار: المؤنس فى أخبار إفريقية وتونس، ص١٠٥).

(٥) أحمدمختار العبادى: تاريخ الأندلس لإبن الكردبوس، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية، المجلد ١٣، ص١٤؛ فايز عبدالنبى فلاح القيسى: أدب الرسائل فى الأندلس، ص ٢٧- ٢٨ .

(٦) للمزيد عن تلك الحروب والمعارك راجع: أحمد مختار العبادى: تاريخ لأندلس لابن الكردبوس، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، ١٩٦٥-١٩٦٦م، مج١٣، ص١٢-١٤؛ مجهول: الحلل الموشية، ص٤٥ -٥٥.

المعاهدون[١] بمهاجمة الأندلس وساعدوه بالمال والسلاح والرجال والمعلومات، فكانوا يعززونه ويقوون صفوفه أينما توجه ويدلونه على عورات البلاد أينما ذهب، ناقضين كل العهود المبرمة بينهم وبين المسلمين، فتوجه إلى بلنسية فخربها، ثم هاجم جزيرة شقر [ﺷﻘﺮ][٢] ودانية [ﺩﺍﻧﻴﺔ] [٣] ومنها إلى مرسية ثم إلى بسطة[ﺑﺴﻄﺔ]. [٤]، ووادى آش[ﻭﺍﺩﻱ ﺁﺵ] [٥]، ومن هناك توجه إلى غرناطة وخرب كل القرى التى مر عليها، وحاصر غرناطة لكنه لم يستطع دخولها، فواصل سيره مخترقاً إقليم قرطبة وملحقاً بجيش المسلمين هزيمة فادحة فى الرنيسول [ﺍﻟﺮﻧﻴﺴﻮﻝ] /، ثم تابع خط سيره حتى الساحل مخترقاً إقليم رية (مالقة وأرشذونة)، ووصل حتى قرية بلش[٦]على ساحل البحر الأبيض المتوسط، ومن هنا قفل راجعاً إلى بلاده بعد أن ظل يجوب بلاد المسلمين دون أن يجد أى مقاومة تذكر[٧] !!

وقد نتج عن تلك الواقعة عبور أمير المسلمين على بن يوسف بن تاشفين إلى الأندلس وتصدى للملك النصرانى، ونفذ فتوى تغريب النصارى التى أفتى بها ابن رشد[٨]- والتى أشرنا لها سابقاً- جزاءاً لهم على فعلتهم وخيانتهم للمسلمين.

---

١) ابن عذارى: البيان المغرب، ج٤، ص٦٩.

٢) جزيرة شقر[ﺷﻘﺮ] : بفتح أوله وسكون ثانيه، جزيرة بالأندلس تقع فى شرط بالقرب من الشاطئ، وبينها وبين بلنسية ثمانية عشر ميلاً، تقع فى شرقى الأندلس وهى حسنة البقعة كثيرة الأشجار والثمار والأنهار، وبها جامع ومساجد وفنادق وأسواق، وقد أحاط بها الوادى، والمدخل إليها فى الشتاء على المراكب، وفى الصيف على مخاضة. (الحموى: معجم البلدان، مج ٣، ص٣٥٤؛ الحميرى: الروض المعطار، ص ٣٤٩).

٣) دانية [ﺩﺍﻧﻴﺔ]: بعد الألف نون مكسورة بعدها ياء مثناة من تحت مفتوحة، وهى مدينة بشرق الأندلس على البحر من اعمال بلنسية، لها ربض عامر وعليها سور حصين، ولها قصبة منيعة جداً.(الحموى: معجم البلدان، مج ٢، ص ٤٣٤؛ الحميرى: الروض المعطار، ص ٢٣٢- ٢٣٣).

٤) بسطة[ﺑﺴﻄﺔ] .: بالفتح: وهى مدينة بالأندلس من أعمال جيان، وتقع بالقرب من وادى آش، وهى متوسطة المقدار حسنة الوضع عامرة آهلة حصينة ذات أسوار وبها تجارات وفعلة بضروب الصناعات، وبينها وبين جيان ثلاث مراحل . (الحموى: معجم البلدان، مج١، ص ٤٢٢؛ الحميرى: الروض المعطار، ص ١١٣).

٥) وادى آش[ﻭﺍﺩﻱ ﺁﺵ]: مدينة بالأندلس قريبة من غرناطة كبيرة خطيرة، تطرد حولها المياه والأنهار، ينحط نهرها من جبل شلير، وهى كثيرة التوت والأعناب وأصناف الرمال والزيتون، والقطن بها كثير، وكان لها حمامات ولها بابان . (الحميرى: الروض المعطار، ص ٦٠٤).

٦) قرية بلش: بالفتح، وتشديد اللام، والشين معجمة، بلد بالأندلس، ينسب إليه يوسف بن جبارة البلشى رجل من اهل العلم والصلاح. (الحموى: معجم البلدان، مج١، ص٤٨٤).

٧) ابن عذارى: البيان المغرب، ج٤، ص٧٠ – ٧٢؛ محمود على مكى: وثائق تاريخية جديدة، ص ١٢٥-١٢٦؛ عبدالرحمن على الحجى: التاريخ الأندلسى من الفتح، ص ٤٣٢-٤٣٣.

٨) فقد قام أمير المسلمين على ابن يوسف بن تاشفين بالأخذ بمشورته وأنفذ أمر ترحيلهم وإجلائهم عن الاندلس عقاباً لهم على ما فعلوه فى حق المسلمين، وقد عمم هذا الأمر فى جميع بلاد الاندلس فى شهر رمضان سنة ٥٢٠هـ . (ابن عذارى: البيان المغرب، ج٤، ص٧٢- ٧٣).

obeikandl.com

الجانب الاقتصادى والثقافى خلال عصر ابن رشد:

وعلى الجانب الاقتصادى لبلاد الأندلس فإننا نجد أن استقلال المدن الأندلسية بطبيعة الحال أدى إلى إزدياد الثروات وتركيزها فى أيدى العائلات القوية التى استقلت بتلك المدن، فعلى سبيل المثال لا الحصر نجد بنى عباد الذين حكموا إشبيلية كانوا قبل وصولهم إلى الحكم يمتلكون ثلث كورة إشبيلية، وبنى طاهر حكام مدينة مرسية كانوا يملكون أخصب الأراضى الزراعية فى منطقة السهلة المنسوبة إليهم(١)، وأبا الحزم بن جهور كان من أغنى أهل قرطبة وأفحشهم ثراء، وينطبق الأمر على باقى أمراء الطوائف أمثال: بنى الأفطس فى بطليوس وأمراء بنى ذنون فى طليطلة وبنى هود فى سرقسطة(٢).

فقد قام معظم هؤلاء الأمراء بعد استقلالهم بزيادة ثرواتهم عن طريق الضرائب التى فرضوها وتسلطهم على الأهالى ومصادرة ممتلكات منافسيهم من الأثرياء بعد اتهامهم بشتى التهم، وأيضاً مصادرة أراضى المالكين الصغار(٣)، وعلى الرغم من ذلك فقد إزدهرت الزراعة فى عهد أمراء الطوائف بسبب اهتمامهم بإنشاء الحدائق والبساتين، فظهر فى هذا العصر عدة من علماء النبات والزراعة خصوصاً فى طليطلة وإشبيلية حيث يوجد حدائق بنى ذنون وحدائق بنى عباد، من هؤلاء العلماء: ابن وافد فى طليطلة والذى أشرف على حدائق بنى ذنون، والعالم أبو عبدالله بن بصال المشهور بتجاربه العلمية الناجحة من توليد الغراس ومكافحة الآفات الزراعية، أما الصناعة فقد كانت رائجة ومن أشهرها صناعة الحديد والنحاس والزجاج والنسيج والتى كانت من أهم الصناعات أيام الطوائف، فقد كان فى المرية وحدها خمسة آلاف منسج، وقد كانت دول الطوائف الموجودة بالقرب من الثغور، أمثال: إشبيلية والمرية وبلنسية وغيرها تجنى من التجارة الخارجية أرباحاً كبيرة(٤).

أما عن الحياة الأدبية والعلمية فى عصر ملوك الطوائف فقد بلغت مبلغاً عظيماً من الازدهار والنبوغ، خصوصاً وأن معظم هؤلاء الملوك كانوا أدباء، أمثال المعتمد بن عباد(٥) حيث يقول ابن خاقان واصفاً عصره: "فأصبحت حضرته ميداناً لرهان الأذهان، وغاية لرمى

---

١) وقد أشارت إحدى الفتاوى إلى الأملاك التى كان يمتلكها بنو طاهر. (ابن رشد: الفتاوى، ج٢، ص٣٢٤، ص١٠٧٧).

٢) ابن عذارى: البيان المغرب، ج٣، ص١٨٦؛ خليل إبراهيم السامرائى وأخرون: تاريخ العرب وحضارتهم فى الأندلس، ص ٤٦٧ –٤٦٨.

٣) ابن عذارى: البيان المغرب، ج٣، ص١٦٠.

٤) أنسام غضبان عبود: الزراعة فى مملكة بلنسية خلال عصر الطوائف "دراسة تاريخية"، مجلة آداب البصرة، العدد٤٠، ٢٠٠٦م، ص١٠٠.

٥) ابن عذارى: البيان المغرب، ج٣، ص١٥٦؛ المراكشى: المعجب، ص٧١ –٧٢؛ ابن الآبار: الحلة السيراء، ج٢، ص٥٥.

هدف البيان، ومضماراً لإحراز خصلٍ، فى كل معنى وفضل"[1]، جدير بالذكر أن النهضة العلمية والأدبية التى ظهرت فى عهد الأمويين امتدت إلى عهد ملوك الطوائف حتى أن ثمارها الناضجة لم تظهر إلا فى عهد ملوك الطوائف، فهذا العصر يشبه إلى حد ما القرن الرابع الهجرى بالنسبة لبغداد، فالحركات الإنفصالية وظهور عواصم جديدة تنافس بغداد كان لها أعظم الأثر فى إزدهار الحركة العلمية والأدبية فى المشرق الإسلامى والتى أثمرت عن العديد من المؤلفات فى مختلف المجالات، وهكذا فقد كان الأمر نفسه لقرطبة العاصمة الأموية، فلم يعد هناك وحدة سياسية واحدة، بل تعددت العواصم التى كان يتنافس ملوكها فى تشجيع العلماء والأدباء وتقريبهم منهم وتقليدهم المناصب العليا[2].

---

1) قلائد العقيان، مج١، ص٥٢.

2) المقرى: نفح الطيب، ج١، ص٢٢١ –٢٢٢؛ محمد العروسى: الحروب الصليبية، ص ٢١٣ – ٢١٤.

obeikandl.com